بنوتة بوظبي 304
www.liilas.com/vb3

HARLE

روايات أحلام

عندما يخطىء القلب

ريبيكا وينترز

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

عندما يخطىء القلب

أقسم ديميتريوس باناكيس ألا يقع في شرك الزواج كأخيه البكر وقد حافظ هذا المليونير على يمينه رغم صيته كمحطم للقلوب.

لكن سكرتيرته الجديدة تهدد عزيمته. لقد تغلغلت الكسندرا هاملتون بمظهرها غير الجذاب في مسام جلده. حتى أصبح ديميتريوس على يقين أن ما من شيء يرضيه سوى... الزواج!

ISBN 9953-15-154-7

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سورية	75ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

ريبيكا وينترز

أم لأربعة أولاد، ومعلمة سابقة.

تركت مهنة التدريس حيث كانت تدرس اللغتين الفرنسية والإسبانية. أصبحت اليوم قادرة على تمضية المزيد من الوقت مع أسرتها، والقيام بالأسفار وكتابة الروايات لـ «ميلز أند بونز». تلك الروايات التي تحبها كثيراً.

يمكنكم زيارة موقعها على الإنترنت:

http: www. rebecca winters-author.com

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

١ ـ جسور الماضي

سمع ديمتريوس وقع أقدام في الممرّ خارج غرفته. وكان الليل قد انتصف فتملكه الفضول لمعرفة ما يجري. أزاح عنه الأغطية وهرع خارجاً إلى الرواق.

ـ ليون؟؟

ثم همس لدى رؤيته شقيقه الأكبر حاملاً حقيبته: «ماذا يحصل؟».

واستدار ليون مجيباً: «عد إلى الفراش، ديمي».

ولكنه تجاهل الأمر وهرع إلى ليون سائلاً: «إلى أين أنت راحل؟».

ـ أخفض صوتك. ستكتشف الأمر عاجلاً.

ـ ولكن لا يمكنك الرحيل هكذا.

كان ديمتريوس يكنّ حباً كبيراً لليون الذي كان له في السنة الماضية الأب والأخ والحامي معاً.

ـ حيثما تذهب أذهب! سأجهز خلال دقيقتين.

ـ كلا ديمي، عليك البقاء هنا مع العم سبيروس وأولاده. سأعود بعد أسبوع.

اغرورقت عينا ديمي بالدمع وهو يقول: «أولاد عمي ليسوا مرحين مثلك والعم سبيروس متزمت جداً».

ـ كان طيباً معنا على طريقته منذ وفاة والدينا. لن يكون الأمر سيئاً.

انتابه الرعب فتشبث ديمتريوس بليون محاولاً ردعه عن الذهاب:

«أرجوك، دعني آتي معك».

ـ لا يمكنك. أتعلم، سأتزوج قبل طلوع الفجر. لقد تم إعداد كل شيء.

ـ تتزوّج؟

أحس ديمتريوس أن عالمه ينهار: «مَن مِن صديقاتك؟».

ـ أنانكي باولوس.

ـ سمعت عنها. هل ستحضرها إلى هنا؟

فقال متنهداً بعمق: «لا، ستقيم في الفيلا الخاصة بوالدي».

ـ إذاً سآتي للإقامة معكما. أستطيع النوم في غرفتي القديمة كالمعتاد.

هز رأسه بالنفي: «آسف ديمتري، فالمرأة تحب أن يكون لها منزلها الخاص».

ـ ولكن هذا يعني أننا لن نقيم معاً مجدداً.

ـ اسمع، سنظل دوماً شقيقين. سأزورك كل يوم وستأتي لزيارتنا.

وتضاعف الألم في نفسه فتمتم: «هل تحبها أكثر مني؟».

حدق ليون إليه بعينين مليئتين حزناً وقلقاً. لم يكن ديمتريوس يتصوّر أن شقيقه يمكن أن يقلق أو يحزن بهذا الشكل فأرعبه ذلك. قال ليون: «أبداً، في الواقع أنا مستعد للتضحية بأي شيء في العالم كيلا أتزوجها غير أنها تحمل طفلي».

وطرفت عينا ديمتريوس من الذهول: «هل ستنجب طفلك؟».

ـ نعم.

ـ ستنجب طفلاً من امرأة لا تحبها؟

ـ ديمي، أصغ إلي. أنت في الثانية عشرة فقط ولست كبيراً كفاية للإحساس بمشاعر الرجولة. عندما يحين ذلك اليوم، ستشعر بردّة فعل جسدية عندما ترى امرأة جميلة. سترغب باحتضانها فاللذة التي تستطيع المرأة منحها تستحق الموت لأجلها.

ـ هل تلك هي حالك مع أنانكي؟

ـ أجل.

ـ ولكنك لا تحبّها؟

ـ يمكنك أن تشعر برغبة عارمة تجاه امرأة من دون أن تحبها. لم أكن لأتزوجها لولا الطفل. والآن، عليّ أن أقوم بواجبي كفرد من آل باناكيس.

ـ لا لست مضطراً لذلك!

صرخ ديمتريوس من أعماق روحه: «أي نوع من النساء قد ترغب بالعيش معك لو أدركت أنك لا تحبّها؟».

أفلتت من ليون قهقهة مريرة: «ديمي؟ ثمة أسباب أخرى تدفعها للزواج بي».

ـ أي أسباب؟

ـ المال، والمركز الاجتماعي.

ـ لا أفهم.

ـ أنت تعلم أن عائلتنا تملك امبراطورية مالية ناجحة في اليونان منذ أجيال. نحن معروفون في أنحاء العالم، والعم سبيروس يلتقي أناساً مهمين ونافذين تماماً كما كان والدنا يفعل قبل وفاته.

وأكمل: «هذا هو السبب الذي دفع أنانكي إلى الإيقاع بي. كانت تأمل أن تحمل مني لكي تتمكن من الانتماء لعائلتنا. وهي الآن ستحقق أمنيتها ولكنها لن تحصل على الزفاف الذي حلمت به. سنتزوج في الكنيسة من دون ضيوف باستثناء جدّتها».

أحسّ ديمتريوس بالغضب والألم فأفلتت منه كلمة لم يستطع أن يكبحها: «أكرهها!».

ـ لا تقل ذلك ديمي، فبعد الليلة، ستكون فرداً من عائلتنا.

ـ بل سأقول ذلك.

وانهمرت الدموع على وجه ديمتريوس فتراجع بعيداً عن أخيه: «هل تظن أن أمنا تزوجت والدنا لماله؟».

وانتظر ديمتريوس مطوّلاً قبل أن يسمع جواباً: «ربما».

لطالما كان ليون صادقاً إلى حد الوقاحة فحطم جوابه ديمتريوس الذي أعياه الأسى فقال: «ألا يستطيع الغني العثور على امرأة تحبه لشخصه؟».

ـ أجهل الإجابة عن هذا السؤال. ما أقصده هو أنني لا أريدك أن تقع في الخطأ نفسه مثلي. ولسوء الحظ، تلك مشكلة لا بدّ أن تواجهها يوماً.

ـ ماذا تعني؟

ـ يوماً ما، ستترأس شركة آل بانداكيس لأن العم سيبروس يقول إنك الأذكى في العائلة كما أنك أكثر وسامة من كل رجال آل بانداكيس. ستكون قادراً على انتقاء أي امرأة في العالم. سيرتمين في أحضانك. وعليك، يا أخي الصغير، أن تكون أشدّ حذراً من غالبية الرجال لئلا توقع بك امرأة وتجبرك على الزواج بها.

صرّ ديمتريوس على أسنانه: «لن يحصل لي هذا أبداً».

ابتسم ليون ابتسامة حزينة سائلاً: «كيف تعلم ذلك؟».

ـ لن أقيم علاقة مع أيّ امرأة. وهكذا، لن يكون علي أن أقلق.

ـ بل ستفعل.

وداعب خصلات شعر ديمتريوس الجعداء السوداء مضيفاً: «ستتابع هذا الحديث في الأسبوع المقبل عندما نخرج معاً في نزهة طويلة».

راقب ديمتريوس أخاه يختفي وراء زاوية فيلا عمهما. كان الأمر مشابهاً لليلة التي علما فيها بمقتل والديهما منذ سنة خلت. يومها رغب ديمتريوس في الموت أيضاً.

***

لم تكن الكسندرا هاملتون تثق بأحد ليصبغ شعرها إلا مايكل، صاحب صالون «زد» في موطنها باترسون في مقاطعة نيو جرسي. كان

نابغة في عمله، لا شك في ذلك ولكنها تثق به أيضاً وتأتمنه على أسرارها كما لو كانت أمام كاهن على كرسي الاعتراف.

والتقت عيناها الخضراوان بعينيه في المرآة الضخمة التي تحيط بها أضواء أشبه بأضواء المسرح وقال: «ومتى ستتخلصين من هذا اللون البني الممل لتكشفي لون شعرك الأشقر الطبيعي أمام نظراته المذهولة».

ـ ليس قبل أن يغرم بي كما أنا.

أمّا من يتحدثان عنه فهو طبعاً ديمتريوس بانداكيس، فأليكس تحبه حباً جارفاً.

ـ أكره أن أقول لك ذلك لكنك ترددين هذا الكلام منذ عملت معه في شركته أي منذ أربع سنوات، أليس كذلك؟

مدت له اليكس لسانها.

ـ آسف.

قالها بصوت لا أثر فيه للندم فأدارت ذقنها الناعم نحوه قائلة: «أنا أحرز تقدّماً».

ـ أتعنين منذ دسست السم في قهوة سكرتيرته الخاصة منذ نحو ستة أشهر؟

ـ مايكل! هذا ليس مسلياً. كانت امرأة رائعة وما زلت أشتاق اليها وأعلم أنه يفتقدها أيضاً.

ـ كنت أمزح! ظننت أن الرحلة إلى الصين مرّت من دون مفاجآت.

ـ صحيح. لقد أعطاني مكافأة أخرى.

ـ حصل ذلك مراراً، يجدر به توخي الحذر وإلاّ قد يجد نفسه ضحية انقلاب ذكي دبّرته سكرتيرته الخاصة، الآنسة هاملتون.

وعلا تعبير شيطاني محيّا مايكل فقال: «هل ما زلت تحملينه على مناداتك بالآنسة هاملتون؟».

حاولت إخفاء ابتسامتها: «أجل».

ـ هذا الأمر يمنحك لذة عارمة. أليس كذلك؟

ـ لذة قصوى. لا بد أنني المرأة الوحيدة في القارات السبع التي لم تلاحقه محاولة لفت انتباهه.

ـ أجل وهذا واضح.

فدافعت عن نفسها بالقول: «هذا ما يجعلني مختلفة. ويوماً ما، سيلاحظ ذلك».

ـ آمل أن يحصل ذلك قبل أن يتزوج امرأة من طبقته لإنجاب وريث له فهو لم يعد فتياً، أتعلمين؟

واعتصر قلبها ألم مألوف فقالت: «شكراً للعبك على الوتر الحساس عندي».

ـ إلا أنك تحبينني على أي حال لأنني أقول لك الحقيقة.

عضت شفتها: «لديه ابن أخ يحبه كابنه وأخبرتني السيدة لانداو مرة أن شقيق ديمتريوس توفي، لذا تولى رعاية الفتى. ثمة نظرة ترتسم على وجهه كلما اتصل به ليون من اليونان».

عقص شعرها جيداً ثم قال: «حسناً إذاً، اعتقد أنك لست قلقة من تلهفه لبناء أسرته الخاصة».

ـ آه، توقف.

وعبس متأملاً إياها من شعرها القاتم حتى حذائها الأسود وأعلن: «عليّ الاعتراف بأنني قمت بعمل جيد عندما غيرت شكلك».

ـ لا يناسبك أن تكون متواضعاً، مايكل. لِمَ لا تعترف بأنك ابتدعت تحفة؟.

بفضل خبرته في تصفيف الشعر والماكياج التي اكتسبها بفضل أصدقائه من الممثلين، ابتكر تنكراً جعلها تبدو كسكرتيرة عادية أكبر سناً من سنواتها الخمس وعشرين.

ـ ممكن لكن لعلي بالغت عندما اقترحت عليك تلك النظارات

الفولاذية السميكة التي تضعينها، فهي تناسب شخصيات الحرب العالمية الثانية السينمائية.

ـ وهذا هو المقصود. تعلم أنني مدينة لك.

وناولته ورقة من فئة المئة دولار فرفضها قائلاً: «لقد أبرمنا اتفاقاً. أتذكرين؟ ففي مقابل بعض التعديلات المجانية، سنقيم أنا وأصدقائي مجاناً في جناحك في فندق تسالونيكا خلال المهرجان».

هزت رأسها: «كنت أفكر بذلك ورأيت أني الرابحة في هذه الصفقة».

رفع حاجبيه قائلاً: «هل تعلمين كم تكلف الليلة الواحدة في جناح في ذلك المكان؟».

ـ لا.

ـ أعتقد أنك لا تحتاجين إلى معرفة ذلك عندما تكونين سكرتيرة ديمتريوس بانداكيس الخاصة. آه، لو يعلم الناس كيف تعيشين حقيقة في هذه الأيام!.

أعلن ذلك بمأساوية فردت الكس: «تعلم أنني لا أحفل بذلك».

غدت تعابيره جدية لبرهة: «هل يستحق الأمر فعلاً أن تكوني وصيفة من دون أن تصبحي أبداً عروساً؟».

لامس وتراً حساساً فيها وقد أدرك ذلك فقالت: «لا أستطيع تصوّر عدم رؤيته يومياً».

ـ أنت ميؤوس منك يا عزيزتي.

ـ أعلم.

ونهضت عن الكرسي قائلة: «أراك في اليونان الأسبوع المقبل».

ـ سنأتي كالرحالة. أواثقة من أنك لا تريدين فستاناً مناسباً لزيّه؟ ثمة زيّ مذهب رائع يعود إلى عصر النهضة الإيطالية، أستطيع استعارته من مجموعة الأوبرا.

هز رأسها بالنفي: «الآنسة هاملتون لا ترتدي أزياءً فهذا ليس من شيمها».

ـ مؤسف.

وضحكت الكس: «رحلة آمنة، مايكل».

ـ لحسن حظك أنك تستقلين طائرة الباناداكيس الخاصة.

ـ أعترف بأن هذا الجزء جميل. والآن وداعاً.

غادرت الصالون ممتنة للتنكر الناجح الذي ابتكره مايكل. فقد نالت ثقة الرجل، ولكن هذه الثقة لم تكن هدفها الوحيد.

أما بالنسبة لمخاوفها الأخرى، فمن الغباء أن تقلق من احتمال أن يتعرّف إليها جورجيو باناديكس كوجه من الماضي، لدى وصولها الى اليونان، خاصة أن ديمتريوس لم يبدُ عليه أنه عرفها مطلقاً. تسع سنوات هي فترة طويلة ليستطيع سكير أن يتذكر تحرشه بفتاة ذات ستة عشر ربيعاً.

لحسن الحظ أن أحدهم خرج من متحف الحرير في باترسون تلك الليلة وسمع صراخها.

ما زالت الكس تذكر وجه حاميها كما تراءى لها تحت ضوء القمر الشاحب وكأنه أمير أسمر ينتقم لها. كان ديمتريوس باناداكيس بنفسه من أبعد ابن عمه عنها قبل أن يوقعه أرضاً فاقد الوعي. ساعدها على النهوض وأخبرها أنه مستعد لمساعدتها على رفع شكوى إذا رغبت بذلك. أما الكس التي وقفت هناك، مرتجفة القدمين وممتنة لإنقاذه إياه، فقد صُدمت من استعداده للدفاع عن مراهقة مجهولة ضد قريب له. لم يتهمها ديمتريوس بأنها شجعته على ذلك ولم يحاول جعلها تدفع الثمن.

لم يبد عليه الخوف من الفضيحة، فمع تورط اسم باناداكيس سيتصدّر الخبر الصفحات الأولى. ورغم ذلك، كان مستعداً لتعريض عائلته للإحراج من أجلها. في تلك اللحظة، وقعت في حبه.

وما إن بدأت تستعيد هدوءها، حتى أكدت له عدم جدوى الاتصال

بالشرطة، فقد انقذها قبل أن تتطوّر الامور، وجلّ ما تريده هو نسيان ما حصل. وبعد شكره مجدداً على إنقاذها، هرولت عبر حديقة منزلها ممسكة بأطراف بلوزتها الحرير الممزقة. وقبل أن تختفي عند الزاوية راقبته يلقي قريبه الفاقد الوعي على كتفه بقوة لا يمتلكها إلا رجل طويل ومتين البنية. بقيت عيناها مثبتتين عليه حتى عجزت عن تبين طيفه في الظلام ولكنها لم تستطع أن تنساه رغم رحيله. عندما أوت إلى فراشها تلك الليلة، قررت أنها عندما ستكبر، ستلتقيه مجدداً. ستكون الظروف مختلفة بالطبع. ومهما تطلّب ذلك، فعليها أن تحرص على أن تجده.

***

وفيما كان ديمتريوس يزرّر قميصه، سمع قرعاً على باب غرفته فافترض بأنها سيريلدا مدبرة المنزل.

فُتح الباب غير أنه لم يسمع سيل الكلمات المعتادة عن الطقس وأحوال العالم! إلا إذا أرسلت إليه خادمة لتحمل له القهوة والفطائر أو لعله ابن أخيه!

كان ديمتريوس يعشق ابن أخيه البالغ من العمر الثانية والعشرين والذي يعيد إليه ببنيته وتصرفاته ذكرى أخيه البكر، ليونيدس باناداكيس.

لقد نجت زوجته الحامل من حادث السيارة التي كانت تقلّهما إلى شهر العسل بأعجوبة وقد نجا أيضاً طفلهما الذي لم يكن قد ولد بعد والذي سمي ليون. وكان، على مثال أبيه، فتى سعيداً، ذا طبيعة ودية منفتحة على الآخرين. إنه مراهق مثالي ولديه مشاكله، وهو شاب يافع في منتصف دراسته الجامعية وقد أظهر حماساً طبيعياً للحياة أو هذا ما كان ديمتريوس يعتقده.

ولكن، منذ عودة ديمتريوس من الصين البارحة، لاحظ تغييراً كبيراً في قريبه. في العادة، كان ليون يسعى إلى مرافقته كلما سنحت له الفرصة

لتزويده بأدق التفاصيل عما يجري معه. هذه المرة، اكتفى بالترحيب بعمه بعناق صغير ثم اختفى في الفيلا دون أي تفسير بخلاف عادته تماماً. تبين ديمتريوس ظلالاً في عينيه البنيتين اللتين ورثهما عن والدته. ثمة أمر مريب بالطبع وتمنّى ألا يكون الوضع سيئاً وربما حان الوقت لأن يعلم ما يجري فناداه:

ـ أنت مبكر يا ليون وهذا جيد لأنني كنت على وشك البحث عنك. اشتقت اليك وكنت أتوق لمناقشاتنا.

بعد ارتدائه سترة البذلة، أقفل خزانته آملاً أن يفصح ابن أخيه عما كان يضايقه. ولكنه عندما اكتشف وجود أنانكي في ملابس نومها، اعتراه النفور وشعر بضيق في حلقه.

لطالما أحس بالنفور من المرأة التي استدرجت شقيقه إلى الزواج بها ولم يتخلص من شعوره هذا حتى هذه اللحظة، مع أن حبه لابن أخيه هدّأ من مشاعره المدمرة فتحمّل وجودها في الفيلا فيما كان يلعب دور الوصي على ليون الصغير.

لقد أزالت الجراحة التجميلية كل آثار الندوب المتبقية من الحادث إلا أن الجراح التي أصابت قلبه لم تستطع أن تندمل بهذه السهولة. لا شيء يمكنه محو ذكرى امرأة جرّت ليون إلى مخدعها بهدف الانتماء إلى آل بانداكيس. فبسببها أيضاً، توفي أخوه.

حينذاك، كانت آنانكي في الثامنة عشرة من عمرها، ومدركة لإمكاناتها وسبل استغلالها. والآن ها هي في الحادية والأربعين من العمر، تكبر ديمتريوس بست سنوات فقط. إنها سيدة جذابة في نظر غالبية الرجال غير أنها لم تظهر أي اهتمام بهم.

لم تكن المرة الأولى التي يتساءل فيها عما إذا كانت تأمل في أن تصبح عروسه مع أنها أوضحت للعائلة والأصدقاء أنها ترفض التفكير بالزواج حتى ترى ابنها مستقراً مع زوجته. أدرك ديمتريوس أنها تتذرّع بهذا للبقاء

في الفيلا فما من رجل آخر يقدر على تقديم نمط عيش آل بانداكيس لها.

في حفل مولد جده الأخير، عبّر ابن عمه فازو عن أفكار مماثلة لتلك التي كانت تجول في باله غير أن عينيّ ديمتريوس عكستا رفضه للموضوع.

لسوء الحظ، يبدو أن لا شيء يردع طموح أنانكي فها قد لاحقته حتى في مكان حميم كغرفة نومه الخاصة عند السابعة صباحاً.

بعيداً عن حبه لأخيه ولابنه، لطالما عاملها باحترام على مدى تلك السنوات ولكنها تخطت للأسف هذا الصباح خطّاً محرّماً وستلقى جزاءها.

ـ ليس لديك أي حق بالتواجد في هذا الجزء من الڤيلا أنانكي.

ـ أرجوك لا تغضب مني. يجب أن أتحدث إليك قبل أن يجدك ليون.

بدت كما لو أنها كانت تبكي فأضافت: «إنه أمر هام».

فسألها بغضب صامت: «هام لدرجة زرع أفكار خاطئة في عقول الخدم من دون ذكر ابن أخي؟ من الآن فصاعداً، إذا كان لديك شيئاً تقولينه لي بسرية، فاتصلي بي في المكتب».

ـ انتظر!

صرخت به فيما كان يتجاوزها متجهاً نحو البهو المقابل لمدخل الفيلا وقد ضاق ذرعاً باحتجاجها.

ـ ديمي!

حاولت اللحاق به فبدا وقع صندلها السريع على الرخام غريباً مقارنة مع وقع اقدامه الرشيقة.

زال النقر أخيراً فشعر بالارتياح. كان قد أقفل الباب الأمامي وتوجه إلى الموقف بجانب الفيلا عندما ناداه ليون. استدار ديمتريوس متفاجئاً برؤية ابن أخيه يلحق به. كان يسرع نحوه: «عمي. أحتاج للتحدث إليك على انفراد».

وأضاف بصوت واثق من نفسه: «هل ستدعني أقود السيارة بك إلى المكتب؟».

للحظة، شعر ديمتريوس بالذنب لصرفه أنانكي فمن الواضح أنها كانت تحاول تحذيره من شيء ما. ولكنه عندما فكر في تصرّفاتها المتهوّرة التي قد يسيء خدمه فهمها، لم يعد آسفاً على مقاطعتها.

ـ يمكن للعمل أن ينتظر. لمَ لا نقوم بجولة ونتوقف في مكان ما لتناول الغداء؟ سأخابر ستافروس لأعلمه بأنني لن أتواجد حتى بعد الظهر.

ـ أواثق أنت من أنك لا تفضل قضاء الوقت مع إحدى نسائك بما أنك عدت الآن من الصين؟

ـ ما من امرأة أكثر أهمية منك، ليون.

ـ هل أنت متأكد؟ عندما كنت في الكترا، سألتني إيونا متى ستعود إلى المنزل. قالت إن الأمر طارىء وإنها تريد التحدث اليك حتى أنها طلبت رقم هاتفك الخلوي ولكنني أخبرتها بأنني لا أذكره.

هز ديمتريوس رأسه: «إذا كانت بمنتهى الصراحة معك، فعندئذ تكون قد وقّعت وثيقة وفاتها بيدها».

وتأمله ابن أخيه بثبات: «إنها جميلة جداً».

ـ أوافق ولكنك تعلم مبدأي يا ليون فعندما تبدأ المرأة بأخذ المبادرة، أهجرها.

ـ أظنها قاعدة جيدة فأنا أيضاً أستعملها وعلي القول بأنها ناجحة.

لم يسر هذا الاعتراف ديمتريوس إذ بدا بعيداً عن طبع ليون الذي أضاف بانفعال: «لنكن صريحين، أنا مسرور لأنك تفضل التواجد معي هذا الصباح».

وعانق ديمتريوس ابن أخيه. وبعد دقائق، كانت سيارتهما تتوجه نحو تلال تسالونيكا المطلة على الخليج. وأثناء تولّي ليون القيادة، تفقد ديمتريوس مساعده: «ستافروس؟ هل يمكنك الاستغناء عني بضع ساعات؟».

ـ أتريد الحقيقة؟

وأدهش سؤاله ديمتريوس الذي أجاب: «دائماً».

ـ قد يفصل محيط بين الآنسة هاملتون وبيني، ولكنها منذ أصبحت سكرتيرتك الخاصة، بدأت أشعر بالارتياب.

فسارع لطمأنة ذلك العجوز الذي يناهز السادسة والستين والذي أدار فرع الشركة اليوناني لعقود: «أنت أساسي في الشركة يا ستافروس وأنت تعلم ذلك».

الآنسة هاملتون، التي تتلمذت على يد سكرتيرته الخاصة السابقة في نيويورك بدأت العمل منذ ستة أشهر ولا تزال في بداياتها. إلا أن ديمتريوس يفهم لماذا ألقى ستافروس ملاحظته فلقد كانت امرأة خارقة، ذكية وخلاقة. إنها مزيج من الإدمان على العمل والخبرة المتمكنة رغم تمتعها بجمال عادي ولكنها موهوبة بطبيعة مرحة.

كانت تتمتع بالعديد من المزايا التي لا يمكن في الواقع تحديدها وكانت السيدة لانداو تعلم ما تفعله عندما استخدمتها. قبل رحلتهما إلى الصين، تساءل ديمتريوس كيف كان سيتدبر أمره من دونها. وخلال إقامتها أسبوعاً في بيكين، اكتشف سرّها أخيراً عندما راقبها تمارس سحرها على زملائها الأشداء بذكاء ديبلوماسي. كانت تحفظ التفاصيل كسائر النساء غير أنها كانت تفكر كالرجال. وأفضل ما في الأمر، أنها لم تكن تهتم بديمتريوس، فتابع قائلاً:

ـ الآنسة هاملتون أغنت الشركة بنبوغها تماماً كما أغنيتها أنت على مدى سنوات ووجهتني يا ستافروس. أتطلع للقائكما الأول في الأسبوع المقبل فهي تكن لك تقديراً عظيماً.

ـ وأنا أيضاً سأتمتع بالتعرّف على هذه النابغة الأميركية. إنه لقاء الربيع بالشتاء.

ـ بما أنها في أواخر الثلاثينات. تبدو لي تسمية الصيف أكثر دقة وأنت تبدو عاطفياً على غير طبيعتك يا ستافروس.

ـ إنها آثار التقدم في السن كما تعلم.

وضحك ديمتريوس ولكنه استشعر وراء كلماته، إرادة معاونه القوية. ربما يُسرُّ بشيء في أذن الآنسة هاملتون لتترك لستافروس عملاً مهماً يتولاه خلال المهرجان.

ـ أريد أن نتفاهم جيداً على أنني لن أسمح لك بالاستقالة حتى أفعل أنا ذلك. أراك لاحقاً بعد الظهر.

سأله ابن أخيه فيما كان يطفىء الخلوي: «ما هي مشكلة ستافروس؟».

أرجع ديمتريوس رأسيه إلى الوراء ليستريح وهمس: «لقد تنبّه فجأة إلى أنه يتقدّم في السن».

ـ أدرك شعوره.

جدية ليون منعت ديمتريوس من الضحك فقال: «قلت إنك ترغب في الكلام وبما أنك ذكرت أيونا أتساءل ما إذا كنت على وشك إخباري أنك وقعت في حب فتاة لا تحبها أمك».

هز ليون رأسه: «لم يكن هذا سبب خلافنا. أخبرتها أنني أكره الدراسة في مجال الأعمال وأريد ترك الجامعة فنحن ما زلنا في أيلول وأستطيع الانسحاب قبل أن يبدأ فصل الشتاء الدراسي خلال ثلاثة أسابيع».

منع ديمتريوس نفسه من الانفعال: «لا بد أن لديك سبباً وجيهاً».

فصرخ: «قلبي لا يميل إليه ولا أظنه كان يوماً ما أريده. إذ لطالما تمنت أمي أن أستلم مكاني في شركة العائلة. تقول إني أدين لذكرى والدي بذلك ولكن الأعمال لا تستهويني. هل تظن بأن ذلك سيجعل مني خائناً؟».

قال ليون هذا بصوت قلق فأنّبه ديمتريوس: «بالطبع لا».

كان في مقدوره إطلاعه على بعض الحقائق كأن يخبره مثلاً أن والده لم يكن مهتماً بأعمال العائلة كذلك. كما أن هناك معلومات يجهلها ليون

عن أمه تفسر رغبتها في أن يضع يده على حقه في الميراث. ولكن يديّ ديمتريوس كانتا مغلولتين لأن إطلاع قريبه على الحقيقة سيؤلمه أكثر مما قد يعينه.

ـ ماذا تريد أن تفعل بحياتك أو أنك لا تعرف بعد؟

وتنهد ابن اخته: «لدي فقط فكرة ولكنها تقوى في كل مرة أزور فيها جبل أتوس. لقد اصطحبتني إلى هناك للمرة الأولى، أتذكر؟ قمنا بجولة على الأقدام، أكلنا ونمنا في الأديرة المنتشرة هناك».

أجل، لقد تذكر خصوصاً اندهاش ابن أخيه بالرهبان.

واستقام ديمتريوس في المقعد وأدرك ما سيقوله ليون قبل أن يتفوه به.

ـ عمي؟ أمس، أخبرت أمي أني أفكر بدخول الرهبانية. لم أرها قط تنفعل هكذا لأي سبب كان. هلاّ كلمتها بهذا الخصوص؟ أنت الشخص الوحيد الذي ستصغي إليه.

بدأ يفهم زيارة أنانك غير المتوقعة إلى غرفته هذا الصباح من منظار جديد.

منذ وفاة ليونيدس، عانت الكثير تحت سقف العم سبيروس حتى وفاته ومن ثم تحت حماية ديمتريوس. إذا تخلى ابنها عن كل أملاكه الدنيوية وذهب للإقامة في الجبل، لن تخسر أنانكي فقط ابناً لصالح الكنيسة بل سيبقى أمامها خيار وحيد هو الانتقال إلى منزل يؤمنه لها ديمتريوس... منزل مريح عادي يناسب أرملة ليونيدس فتتحطم أحلامها كلها.

ـ قبل أن أتحدث إلى والدتك، أريد سماع المزيد عما تشعر به.

ـ كما قلت لك، لا أفكر بسوى ذلك.

ـ إن رحلتنا إلى جبل آتوس كانت منذ عشر سنوات، تطلّب الأمر مدة طويلة جداً من التفكير.

واحمر وجه ليون فانتفض قلب ديمتريوس. ربما يحمل ابن أخيه دعوة للحياة الكنسية. ماذا لو كان هذا هو الطريق الذي سينتهجه؟ سيبتعد عن ديمتريوس فلا يعود بإمكانه اقناعه بالعدول عن رأيه.

سيقول له في ما بعد إن قراراً يتخذه شاب في الثانية والعشرين ليس ناضجاً. وهذا القرار سيفطر قلب أمه التي قد يطلق عليها عدة صفات نابية إلا أنها تحب ابنها. كما سيقضي على شيء ما داخل ديمتريوس إذا اعتقد أن ماضيه المعذب له علاقة بالخطوة القاسية التي يعتزم ابن أخيه الإقدام عليها.

فجأة، أحس ديمتريوس بأنه أكبر سناً من ستافروس.

***

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

٢ ـ حادث في الطائرة

لطالما كانت عائلة الكس تتذمر من عدم مكوثها وقتاً طويلاً عند زيارتهم في باترسون. لم يستحسن والداها مطلقاً تعمدها إظهار نفسها أكبر سناً لكي يتم استخدامها لدى شركة بانداكيس. كانت المسألة نقطة خلاف بين الكس وأمها في كل مرة يجتمعان فيها سوياً.

ـ يمكنك حتماً بعد مرور أربع سنوات على استخدامك، البدء بإعادة شكلك إلى طبيعته وتفتيح شعرك تدريجياً وارتداء ملابس تناسب عمرك. لم أر ابنتي منذ وقت طويل ولم أعد أذكر شكلك.

وأخذت الكس نفساً عميقاً: «أمي... كنت أتوق بشدة للحصول على الوظيفة وكنت سأفعل أي شيء لكسب موافقة السيدة لانداو. ظننت أنني لو بدوت من النوع الناضج الذي يعتمد عليه، فسأحظى بفرصة أفضل معها».

قد يشتهر السيد بانداكيس بنفوره من النساء غير أنه محترف تماماً في التعامل مع طاقم المكتب.

ـ ولكن السيدة لانداو لم تعد موجودة يا عزيزتي وبما أنك استلمت مسؤولياتها الآن، يبدو لي أن بإمكانك أن تعودي ابنتنا ثانية.

ـ أنت لا تفهميني، يا أماه.

ـ لكنني أفعل، فأنت غير مستعدة للمخاطرة بما قد يحول دون

تواجدك قربه. إنه رجل يدير رأس أي امرأة وخصوصاً أنت.

ـ أجل، إنه...

أقرّت اليكس فحثتها أمها: «أكبر من الحياة؟ أعلم أنه سبب توقفك عن الخروج مع الشبان وانقطاعك عن الحياة الاجتماعية».

ـ عندما ينتهي المهرجان، سيأخذ إجازة لثلاثة أسابيع وطلب مني أن أفعل مثله.

ـ ما يعني أنك ستكتفين بالتجوّل في المكان بانتظار العودة إليه.

كانت أمها تعرفها تمام المعرفة فتابعت: «الكسندرا؟ حاولت عدم التدخل في حياتك ولكن من الواضح أنك مغرمة بالرجل. ولأجل ذلك، فأنت متعامية عن بعض الحقائق».

لم ترد الكس الإصغاء إليها.

ـ عزيزتي، ألا ترين بأنه غير طبيعي؟

فصرخت بها: «تعنين لأنه ليس متزوجاً ولديه ثلاثة أو أربعة أولاد الآن؟».

ـ أجل إنه شخص أنعم الله عليه بهبات كثيرة. أظنه شرد في مكان ما على الطريق.

وهزت أليكس رأسها بتعاطف: «لو كنت تعرفينه، لما تفوّهت بمثل هذا الكلام».

ـ لست أتكلم عن نبوغه في الأعمال ولكن ثمة شيء غير سوي في تكوينه وأعتقد بأنه تعرّض في طفولته لحادث ما أثر في نضوجه العاطفي. كيف تفسرين عجزه عن الاستقرار مع امرأة واحدة؟ أو تحديداً، لمَ يبدو أن السيدة لانداو تنتقي النساء العاديات للعمل معه؟ إنه ليس رجلاً عادياً بكل بساطة. ألا توافقينني الرأي؟

التمعت الدموع في عيون الكس وهمست: «نعم».

وضعت أمها ذراعاً حولها: «عزيزتي، كل ما أريده هو سعادتك

ولكنني أخشى لو استمريت في العمل لحسابه، أن يستمر في استغلال طبيعتك الكريمة. ولن تعرفي أبداً فرحة أن تكوني أماً أو زوجة».

انهارت الكس لدقيقة ثم مسحت عينيها: «أمي؟ هناك شيء علي إطلاعك عليه. ربما تفهمين حينها لم لا أتخلى عنه. أنا... لم أتقدم لوظيفة لدى مجموعة بانداكيس بالصدفة».

ـ لقد شككت بذلك فعندما جاء قومهم إلى باترسون لحضور المؤتمر الدولي للحرير الذي استضافه جدك منذ عشر سنوات، أذكر التأثير الكبير الذي خلفه لدينا كلنا رؤية الرجال السمر والأثرياء.

ـ كان ذلك في الواقع منذ تسع سنوات.

ونظرت إليها أمها شزراً: «ما الذي حصل في تلك الليلة؟ هل استقرت عينا ديمتريوس الزائغتان عليك؟ هل أمرك بالمجيء إليه ومقابلته عندما تكبرين؟».

فصاحت اليكس: «لا! ليت الأمور حصلت على هذا النحو، لما كنت أجبرت على أن ألوذ بالفرار! لقد كان جورجيو باندا كيس...».

وانسالت الكلمات من فمها فشرحت ما حدث قبل تسع سنوات عندما أنقذها ديمتريوس من قريبه. وبعدما اعترفت بكل شيء، قالت: «كان مستعداً لدعمي، أماه. وعرض عليّ المساعدة لأنه ينتمي إلى ذاك الصنف من الرجال».

فهمست أمها بصوت كئيب: «لا عجب في أنك أغرمت به».

ـ لم أستطع أبداً التفكير برجل آخر. لم أقدر.

ـ وما الذي حصلت عليه باستثناء وجع القلب؟ يجب أن تصغي جيداً، عزيزتي. لقد كان حلم مراهقة ولكنه أصبح هوساً لديك. لو كان مقدَّراً لك لبادلك المشاعر الآن.

وأدركت صحة كلام أمها فالكل محق بمن فيهم مايكل وصديقها باني غير أن الألم كان يقتلها.

ـ أخشى عليك من الذهاب الى اليونان برفقته فسيعرضك ذلك للمزيد من المواقف الحميمة معه من دون أن تحظي بشيء بالمقابل.

ـ أعلم ولكن عليّ الذهاب فأنا المسؤولة عن المهرجان.

ـ آه الكسندرا، لقد ورّطت نفسك ولا أحبذ خصوصاً تواجدك في جوار قريبه. من الواضح أنه تسبب بمشاكل لعائلته قبل أن تقع عيناه عليك وإلا لما كان رئيسك بمنتهى القساوة معه.

لقد لزم اليكس بضع سنوات لتتصوّر ذلك.

ـ لا تقلقي، أمي، لقد تزوج جورجيو منذ أمد طويل ولديه عائلة. كما لم أعد مراهقة وهو لن ينظر إليّ الآن.

حدقت إليها والدتها بعينين قلقتين: «لست شديدة الثقة بذلك. يمكنك أن تبدي أكبر سناً الآن ولكنك ستظلين دائماً فتاة جميلة. ولا شك في أن الكذب سرعان ما سينفضح. كيف تظنين أن السيد باناداكيس سيتصرف إذا اكتشف بأنك تنكرت عمداً للحصول على وظيفة؟».

ـ لنقل بصراحة إنّ السيدة لانداو هي التي منحتني الوظيفة.

ـ تعلمين ما أعني.

سحبت اليكس نفساً: «لا أملك أدنى فكرة عن رد فعله».

ـ بل تعلمين. لقد أخبرتني للتو أنه رجل شريف عندما يتعلق الأمر بالأعمال فالرجال أمثاله يتوقعون أن يعاملهم الناس بالمثل. الكسندرا، أنت تلعبين بالنار في كل دقيقة تعملين فيها لحسابه.

صرخت بيأس: «ألا تظنينني أعلم ذلك؟ لقد فكرت ملياً بذلك وأقولها لك ولمايكل: أنا مقتنعة تماماً بأن الشيء الوحيد الذي عليّ القيام به هو الاستقالة».

ـ إذا كنت تعنين ذلك فعلاً، فاذهبي إلى اليونان ونفذّي مهامك. لا تقتربي من عائلته ثم عودي مباشرة إلى المنزل في أول رحلة متاحة وسلّميه استقالتك. سيكون لديه ثلاثة أسابيع للعثور على سكرتيرة أخرى من داخل

الشركة لاستبدالك.

همست بصوت متقطع: «أنت محقة فمساعدتي شارلين مستعدة للتضحية بأي شيء للحصول على عملي. وفور عودتي، سأبحث عن عمل في الجوار».

ـ أهذا وعد؟

وعانقت أمها مرة أخرى: «أجل، قبّلي والدي عني فعلي الإسراع».

ـ اتصلي بي بقدر ما تستطيعين.

ـ حسناً أمي، أحبك وشكراً على النصيحة.

ـ إنها أكثر من نصيحة يا عزيزتي. إنه إنذار.

انهمرت الدموع على وجنتيّ اليكس فور مغادرتها المنزل وتلك الكلمات تطن في أذنيها. طوال طريقها إلى نيويورك، كانت تستعيد حديث أمها وقد ازداد الشرخ في نفسها واتسع أكثر فأكثر.

كم كانت اليكس غبية! لقد انقضت أربع سنوات ولم يتذكرها ديمتريوس. ولكنه إذا لم يفكر فيها أبداً بعد رحيلها، فعليها أن تجعله يتذكر ثمرة أعمالها. لقد كرّست نفسها لتنظيم المعرض الدولي على مدى الأشهر الثمانية الأخيرة. كانت تأمل في جعل اليونان رائدة في بناء علاقات تجارية على الصعيد العالمي.

قبل أن تموت السيدة لانداو، أخبرت الكس بأن ديمتريوس قد طُلِب منه إستضافة المهرجان التجاري تحت رعاية الحكومة اليونانية. شغفت الكس بالمشروع لعدة أسباب فانغمست فوراً بالعمل وحصدت ثناء السيدة لانداو. ولكن قبل أن تقدّم هذه الأخيرة المشروع مكتملاً للحصول على موافقة ديمتريوس، تعرّضت لنوبة قلبية مفاجئة في منزلها.

أثّر موتها على جميع العاملين في الشركة وخصوصاً ديمتريوس الذي كان يعتبرها يده اليمنى خارج اليونان. ووجد نفسه فجأة يقوم بعمل السيدة لانداو إضافة إلى عمله. عندما طلب من اليكس تولي المهام بقدر

استطاعتها، شعرت بأنه يستخف بقدرتها على تحمل مسؤولية مشروع بضخامة المهرجان التجاري إضافة إلى مهامها العادية.

سارعت اليكس إلى طمأنته بأنه سبق لها أن بحثت غالبية التفاصيل مع السيدة لانداو خوفاً من أن تضيع عليها فرصة إثبات وجودها. وهكذا، بدأت بإعداد المخططات. لقد تذكرت تلك الأمسية بوضوح، استعادت طريقة ارتمائه على كرسيه المتحرك وربطة عنقه المفكوكة وقد كحّلت خطوط التعب وجهه الوسيم. وظهر التعب بوضوح على ذقنه النامية التي تدل على أنه يبذل الكثير من الجهد ويسافر من دون راحة. كان يحدق إليها بعينين فضوليتين، مما جعل قلبها ينتفض من مكانه. كانت تدرك بأنه لا يثق كثيراً بقدراتها على إدارة أمر بهذه الأهمية رغم أنه لم يجبها بالنفي.

ـ هل سبق لك أن ذهبت إلى اليونان، آنسة هاملتون؟

ـ لا، ولكن لدي اختصاص في التاريخ.

وأعقب كلامها صمت مريك وشاهدته يفرك جبينه كما لو أنه يعاني من صداع.

ـ هل لديك شيء مدون يمكنك تقديمه لي أم أنك تحتاجين للمزيد من الوقت؟

سحبت نفساً عميقاً: «سأحضر الملف من مكتبي وأعود حالاً».

فور عودتها، سألته ما إذا كان بإمكانها نشر أغراضها على مكتبه فأومأ موافقاً. ما إن فردت أمامه رسومها حتى غادرت ملامح الرضا وجهه واستقام عاقداً حاجبيه الأسودين وقال: «هذه ليست أثينا».

ـ هل أنت مصمم على الاستيحاء منها للمعرض التجاري؟

وبدلاً من الإجابة، استكمل تحقيقه فابتلعت ريقها بصعوبة قائلة: «إنه نموذج عن تيسالونيكا من القرون الوسطى خلال المهرجانات البيزنطية العظمى التي كانت تقام في القرن الثاني عشر. كانت تؤمها وفود من القسطنطينية، مصر، وبلاد الفينيقيين».

رفع رأسه أخيراً فذكرتها عيناه هذه المرة بشرارات سوداء وقال: «هل رسمت هذا؟».

ـ إنه نموذج فقط وفكرت بذلك لأن تيسالونيكا هي موطنك وسيكون من المثير والمناسب إعادة ابتكار المهرجان نفسه واقتباس أزياء التجار الملونة وأعلام كل دولة مشاركة فيه. يمكن للمدينة بأكملها المشاركة به عبر تأمين الطعام والمشروب حيث يرتدي الجميع اللباس المحلي وهناك الغجر، والموسيقى والرقص... وبما أنه كان أعظم مركز ثقافي في حينها وما زال حتى اليوم، لا أستطيع التفكير بمكان آخر في اليونان أكثر ملاءمة لاستضافة مهرجان تجاري، لا سيّما مهرجان بهذه الضخامة. ووضعت صورة مقرّبة للخليج أمامه: «يمكننا دعوة البلدان المجاورة للبحر المتوسط حتى نصل إلى اسكندينافيا لإحضار سفنهم المرمّمة وإرسائها هنا كما كانوا يفعلون ويمكن للجميع الصعود على متن السفن لرؤية بضائعها. سيكون الأمر بمثابة العودة بالزمن إلى الوراء ولكن المنتجات والأقمشة ستكون من أحدث صيحات هذا العصر. سنطلق حملة إعلانية مكثفة على الانترنت وسنفرد لكل دولة موقعاً خاصاً بها لتعلن عن منتوجاتها. فكر في الفوائد التي ستعود على اقتصاد اليونان وعلى صناعاتها على سبيل المثال عدا عن فتح أسواق عالمية جديدة أمامها؟

لم يقاطعها، لذا انتقلت إلى الرسم التالي: «اتبع طريق الحرير من تيسالونيكا إلى سوفلي حيث يمكن للوفود أن تعرض بضاعة الحرير في نقاط مختلفة على الطريق. سيكون الطقس دافئاً ومثالياً في أيلول. تخيل طرقات سوفلي حيث الأكشاك تستعرض كل مرحلة بدءاً باستخراج الحرير وصناعته وانتهاءً بحياكته ليصبح ربطة عنق أو رداء. سنتوجه إلى وسائل الإعلام مسبقاً وهكذا ستكون هناك حملة مركّزة في كافة أرجاء العالم...

قاطعها: «آنسة هاملتون!».

وتصبب عرق بارد من جسمها. لم تستهوه الفكرة فقالت وهي تخشى

النظر إليه: «نعم؟».

ـ ما جمعته هنا ليس إلا ثمرة نبوغ وأنا أعاني في الواقع من صعوبة في استيعاب كل شيء دفعة واحدة.

هجرت الخيبة اليكس وأخذت تشعر بالسعادة لسبب آخر هذه المرة. وهمس: «للأسف، لن يحدث أيّ من هذا من دون مساعدة الفنادق وكان ينبغي إعلام كل فندق قبل أشهر لإنجاح تلك الخطة الرائعة».

ـ لقد تم ذلك.

القى رأسه إلى الوراء وقد اعتراه ذهول مفاجىء.

ـ كما أخطرت أصحاب الأعمال المرتبطة بهذا المشروع كالمطاعم، والجامعات، وشركات الإنتاج الفني، وخدمات المواصلات، وسُلطات المرفأ، والشرطة، ليستطيعوا اختصار الوقت والتخطيط لسبل التعامل مع الحشود الضخمة.

وسمعته يهمس: «يا الله».

فأنبأته: «ما نناقشه الليلة هو أمر جيد فبعد غد هو الموعد الأخير لتأكيد المسألة أو إلغائها من دون دفع غرامة. وكنت أنتظر لمناقشة المعرض معك حتى تتخطى مسألة وفاة السيدة لانداو إذ كانت تحبك كثيراً. سيسرك أن تعلم أن كل شخص اتصلت به أكد لي أنه ما كان لينتظر لولا اسم ديمتريوس بانداكيس، لأنه يشرّفهم التعامل معك».

اختنق صوتها من الانفعال. ومرر يديه لا شعورياً في شعره الكثيف الذي تاقت للمسه وقال: «لقد بدأت أفكر بأنك كاملة، آنسة هاملتون. ولأجل ذلك، كسبت أمسية عمل حافلة قد تشغلنا الليل بكامله».

تلك العبارات التي قالها حققت لها أمنية قلبها.

ـ فيما تتدبرين أمر إرسال العشاء إلينا، سألغي مخططاتي لحضور حفل موسيقي وسنبدأ ثانية. أريد سماع ذلك من البداية وبهدوء هذه المرة. اروي لي بالتفصيل حتى أستوعب ذكاءك اللامع. أرى أنني قلّلت

أيضاً من قدر ثقافتك الأميركية الجامعية. هل درست أيّ لغات؟؟

ـ إنّ إجازتي الجامعية هي في التاريخ الأوروبي الكلاسيكي لذا أخذت دروساً في اللاتينية واليونانية.

وبدا غير مصدق: «أتتكلمين وتفهمين اليونانية؟؟».

ـ لا. ولكن منذ مجيئي للعمل في شركتك، كنت أحاول القيام بالاثنين معاً بمساعدة أستاذ.

ـ من؟

ـ تلميذ تخرّج من أثينا ويعيش في شقة في المبنى الذي أسكن فيه. يقايضني الدروس مقابل الطعام.

ـ أتطهين أيضاً؟

ـ «باني» غير متطلّب.

لم تتذكر اليكس أنها رأت ديمتريوس يبتسم هكذا من قبل، كم كان جذاباً!

ـ عندما تتصلين بالأسفل، اطلبي من المطبخ إرسال إبريق من القهوة مع الطعام.

ـ أي صنف من القهوة الخالية من الكافيين تفضل؟

رفع حاجبه بسخرية: «إنسي كل ما تعلمته من السيدة لانداو».

ـ أنت لا تعني ذلك فعلاً. أعلم أن أمرك كان يهمها جداً.

التمعت عيناه السوداوان مجدداً: «يبدو أنك تعلمين أكثر بكثير مما اعتقدت».

قالت في سرّها: أرجو ذلك فعلاً وإلا كيف سأغدو غير منسيّة بنظرك؟.

وانهمر مزيد من الدموع على وجه اليكس عندما تذكرت تلك الامسية معه. لقد أحب فكرتها وقد سمح لها بتطبيقها إلا أن شيئاً لم يتغير في الأشهر التالية على الصعيد الشخصي. كانت أمها محقة حين قالت إنه غير

طبيعي حتى أن أليكس أدركت بأن الوقت قد حان للاستسلام.

سيكون المعرض التجاري إنجازها الأخير إلا إذا توفيت من الألم قبل ذلك.

غادر ديمتريوس مكتبه في نيويورك واستقل المصعد متوجهاً إلى مرآب المبنى وسأل السائق الذي كان ينتظرهما في سيارة الليموزين:

ـ ألم تصل الآنسة هاملتون بعد؟

ـ لم أرها سيد بانداكيس.

تفحص ساعته. لم ترتكب أي خطأ فادح إذ لم تتجاوز الساعة الثامنة، وأدهشه ذلك لأنها الشخص الأكثر دقة من بين الذين التقاهم في حياته. عندما انهيا العمل أمس، أخبرها أنه سيمر بها في طريقه إلى المطار ليصطحبها معه. ولدهشته، برّرت بأنه لن يكون ضرورياً لأنها ستأتي إلى المكتب باكراً للاهتمام بآخر المستجدات.

ـ سيد بانداكيس؟

والتفت ديمتريوس فوراً فرأى أحد موظفي الموقف يقترب منه: «اتصلت سكرتيرتك للتو وقالت إنها تأخرت وأن صديقها سيوصلها مباشرة إلى المطار».

طرفت عينه. لا شك أن للآنسة هاملتون أصدقاء عديدين ولكن الوحيد الذي سمع به هو ياني وهو يوناني الأصل مثله. فبالإضافة إلى طهوها الطعام له لقاء دروس في اللغة، هل تشاركه الفراش؟ في فكرة أن للآنسة هاملتون حياة عاطفية حميمة جعلتها لغزاً أكبر لأنها لم تسمح لذلك أبداً بالتدخل في عملها. لقد أدرك منذ وقت طويل أنها لا تشبه غالبية النساء ولهذا السبب غدت قيمّة بنظره.

انسل في المقعد الخلفي في الليموزين قائلاً: «لنذهب إلى المطار».

ـ أجل، سيدي.

وأخرج ديمتريوس الأوراق. أول ما لاحظه على غلاف التايمز كان

صورة رائعة لثلاث سفن. وعندما نظر عن كثب، اتضح إن إحداها تعود إلى عصر الفايكنغ والثانية يونانية والأخرى رومانية راسية في خليج تيسالونيكا بانتظار العرض. وقد أرفقت الصورة بمقال كبير.

عرف أسلوب كتابة الآنسة هاملتون، لم يظن ديمتريوس أنها قديرة إلى هذه الدرجة رغم منحه الموافقة على مشروعها.

وقطع رنين هاتفه الخلوي حبل تأملاته فأخرجه من جيبه وتحقق من هوية المتصل. كان شخصاً ما من الفيللا.

ـ كاليميرا عمي. أنت قادم اليوم. أليس كذلك؟

وبدا ابن أخيه قلقاً فقال له: «أنا في الطريق إلى المطار الآن».

ـ جيد فهناك الكثير لمناقشته.

ـ هل أفهم أن الأمور عسيرة بينك وبين أمك؟

ـ أجل فهي ترفض مناقشة أي شيء معي حتى من دون أن تعلم ما سأقوله.

ـ لقد سبق وناقشنا ذلك. إنها تخشى خسارتك، ليون.

ـ كيف أقنعها باستحالة ذلك؟

فرك ديمتريوس عينيه مفكراً بأن ابن أخيه لن يتمكّن من إقناعها فقال: «اسمع، سنجتمع غداً صباحاً نحن الثلاثة لمناقشة المسألة».

ـ أشكرك، فأمي تبدو أحسن حالاً في حضورك. هل أستطيع أن أقلك من المطار؟

كان ديمتريوس عاجزاً عن رفض توسلات ابن اخيه: «سأصل متأخراً وسترافقني سكرتيرتي».

ـ وأين ستقيم؟

ـ لقد حجزت لها في ميديترانيان بالاس.

ـ لا مشكلة. سنوصلها إلى هناك في طريقنا إلى البيت ولكن ذلك قد يستغرق وقتاً فالازدحام خانق. ستُفاجأ لدى وصولك فقد تغيّرت المدينة

أثناء غيابك في نيويورك.

ـ أتطلع لرؤية الانجازات النهائية.

ـ لقد اجتاح الناس المدينة وهناك ست سفن في المرفأ الآن. انتظر لترى السفينة المصرية العائدة إلى أيام كليوباترا والمستقدمة خصيصاً للمناسبة! خمسة أيام لن تكون كافية ليرى الناس كل شيء.

ـ خمسة أيام هي كل ما يمكن لمدينتنا الإستعراضية تحمّله.

ـ هذا ما قاله ڤازو. تناولنا الغداء مع عدد من مسؤولي الحكومة الذين قاموا بجولة استطلاعية أمس. قالوا إنهم لم يشاهدوا قط في حياتهم أمراً كهذا. الكل يطري على شخصك حتى قبل بداية المعرض.

ـ ستسرّ سكرتيرتي لسماع ذلك فهي العقل المدبر لهذه الفكرة.

ـ أنت تقول ذلك لإنك لا تحب الإطراء أبداً.

ـ لا. إذا كنت لا تصدقني، فاطلب من الآنسة هاملتون أن تريك ملفها عند وصولنا.

ـ أنا سعيد لوصولك يا عمي.

ـ وأنا أيضاً. أراك قريباً.

عندما سيتفحّص ليون رسومها الفنية لن يصدق عينيه، فالرسومات مذهلة. ولدى انتهاء كل شيء، يعتزم أن يضع النموذج الأصلي في إطار يعلّق في مكتبه.

عندما بانت طائرته الخاصة على مرمى ناظريه رن الهاتف مجدداً: «ليون؟ من الواضح أنك أغفلت شيئاً هاماً».

ـ أنا أنانكي.

ـ ياسو، أنانكي.

كان بإمكان ديمتريوس أن يجيب بطريقة أفضل إلا أن ذهنه مشغول بالآنسة هاملتون فتابعت: «لا يفاجئني أن يتمكن ابني من الوصول إليك قبلي».

أكملت آنانكي حديثها من دون مقدمات: «عليّ أن أعرف، هل يعتزم البقاء في الجامعة فصلاً آخر؟ أرجوك قل لي نعم!».

كانت أنانكي تصرخ فلاقى يأسها صدى لدى ديمتريوس، فهو لم يستحسن تلك القنبلة التي رماها ابن أخيه في وجهيهما فأعلن لها: «ما زلت أعمل على ذلك».

ـ ومتى ستعود إلى المنزل؟

ـ في وقت متأخر من الليلة. أخبرت ليون أننا سنناقش جميعاً المسألة عند الصباح.

فارتجف صوتها: «شكراً».

ـ أنانكي؟ تذكّري فقط بأنني أستطيع فعل القليل.

ـ تستطيع منعه!

تنهد ديمتريوس: «إذا كان هذا قدره فلن تستطيع قوة على الأرض تغييره».

ختمت حديثها بتأفف ففهم أنها أنهت كلامها في الوقت الحاضر على الأقل. فك حزام مقعده وتمتم: «سأراك غداً».

وفيما توقفت السيارة، ترجل ديمتريوس من الليموزين وأسرع نحو سلم الطائرة.

ـ كاليميرا، كيري بانداكيس.

وبدلاً من سماع صوت مضيفة أو ربان الطائرة كانت الآنسة هاملتون تحييه بلغته الأم. كانت هذه المرة الأولى التي تتكلم فيها باليونانية وهي لا تنفك عن مفاجأته.

ـ كاليميرا.

بادلها التحية مسروراً لوجودها.

ـ هيرو بولي.

ـ مسرور بلقائك أيضاً.

وأكمل مجدداً باليونانية وهو معجب بمواهبها المتعددة التي راح يكتشفها مؤخراً. لقد نطقت الكلام بلكنة سليمة، فقال: «هلاّ أكملنا هذا الحديث الممتع بعد أن تثبت حزام الأمان؟».

فقالت بالإنكليزية: «آسفة. لم أفهم شيئاً مما قلته بعدما أخبرتني أنك مسرور برؤيتي».

كانت صراحتها مبهجة فانفجر ضاحكاً وطرد ذلك لبرهة الغيوم التي أظلمت أيامه منذ أعلن ابن أخيه عن مشاريعه المستقبلية.

رحب به سائر أفراد الطاقم ولكنه لم يحفل بهم فأومأ معبراً عن استعداده للإقلاع وتوجه إليها: «ما قلته للتوّ، آنسة هاملتون هو أنني أتطلع إلى محادثة مطوّلة باليونانية ولكنني ظننت أنه من الحكمة أن نشد حزام الأمان في البداية لكي يستطيع الطيار تأدية وظيفته».

جلست قبالته وأحكمت شد حزام الأمان ثم أكملت: «أخشى أنك سمعت كل ما أعرفه إلى أن نصل إلى اليونان. عندئذ، ستتعجب عندما تسمعني أسأل عن مركز البريد وكم يكلف الطابع البريدي وهذا النوع من الأشياء».

وضاعت ضحكته مع هدير محركات الطائرة.

لاحظ ديمتريوس أنها حتى وهي بعيدة عن المكتب، تبقي نظرها على المفكرة التي كانت تسميها بالكتاب المقدس والتي تحملها معها إلى أي مكان. قال لها: «لم يمانع صديقك في إحضارك إلى المطار باكراً؟».

رفعت رأسها: «يأتي في طريقه إلى أثينا لذا تدبرنا الأمر جيداً».

ـ ليكون مع عائلته؟

ـ أجل وليحضر المهرجان.

واختار المضيف هذه اللحظة ليقدم الشاي. شكره ديمتريوس ثم أرجع مقعده متسائلاً لما يهتم بإجابتها إذ لم يكن من شأنه أبداً ما إذا كانت تخطط لرؤية حبيبها في تيسالونيكا.

وعندما برد الشاي قليلاً، جرع مطوّلاً منه. وجده لذيذاً فأكمل الباقي دون توقف ثم طلب المزيد. هنأ مضيفه باليونانية فهمس هذا الأخير باللغة نفسها: «لقد أحضرته معها وأصرت على إعداده بنفسها».

حدق ديمتريوس في سكرتيرته بفضول وأزعجه هذه المرة انغماسها في العمل فقال: «تهاني آنسة هاملتون فهذا الشاي مذاقه كرحيق الآلهة».

رفعت رأسها ونظرت إليه: «وفقاً لياني الذي لا يحتسي سواه، هذه تسميته باليونانية. يقول إنه مستخرج من نبتة تنمو في أعالي الجبال. أخبرته أنك تميل إلى النكهات الحلوة فقال لي بأن أضيف إليه العسل بدلاً من السكر. أنا مسرورة لأنك أحببته».

كان على ديمتريوس أن يقدّر رغبتها في إرضائه عبر معاملتها إياه معاملة مميزة. ولقد كان سعيداً بذلك. لكنه ولسبب ما، غضب لفكرة اشتراك ياني في هذا التصرف.

أدارت جهازها الكمبيوتر، وقالت:

ـ هلا راجعنا جدول الأحداث الآن؟ لقد أعددت نسخة لك. إذا ما رغبت في إجراء أي تعديل، فسأدخله في الحاسوب وأطبعه لدى وصولنا إلى اليونان.

عدّل ديمتريوس جلسته بحركة تمردية غريبة ليتمكّن من الاسترخاء وأقفل عينيه.

ـ لِمَ لا تقرأين ذلك عالياً وسأقاطعك إذا فكرت في شيء نسيته.

بدا متعباً وحانقاً. ظنت اليكس بأن الشاي سيعدّل مزاجه. هو عادة ذو مزاج معتدل بالنسبة لرجل يتحمّل كل هذه المسؤوليات، غير أنها عملت معه خلال الأشهر الستة الأخيرة وقد بدأت تلاحظ تبدلاً في مزاجه لا يطرأ إلا عندما يكون عائداً إلى دياره في اليونان. وإن كانت والدتها محقة في ما يتعلق بماضيه، فلا بدّ أن لديه مشاكل قديمة لا تزال تزعجه وعليه مواجهتها.

بدأت اليكس تقرأ جردة الصفحة الأولى بصوت عالٍ وعندما بلغت منتصفها، لمست تغيراً في أنفاسه. لقد غرق في النوم، لقد نام زيوس.

هكذا كانت تسميه. هذه هي المرة الثانية التي تطير فيها في طائرة بانداكيس الخاصة التي ترفع شعار النسر. في رحلتها الأولى معه إلى سان فرانسيسكو انتابها شعور بأنها اختطفت على يد إله أولمبي أسطوري نحو مملكته الخاصة في السماء.

وتفحّصت من خلال أهدابها بنيته القوية والممشوقة في المقعد أمامها فيما عيناه السوداوان النافذتان مغلقتان مؤقتاً.

تمنت لو أنها رسامة لكي تستطيع أن تأسره بلوحة. إنه يتميّز بملامح جريئة ورثها عن أسلافه المقدونيين وبشرة زيتونية رائعة لفحتها شمس المتوسط الحارة. لكن هناك شيء طفولي في الطريقة التي يغط فيها بنوم عميق.

تستطيع اليكس إحصاء عدد لا يستهان به من النساء اللواتي يتصلن بالمكتب سعياً للتحدّث إليه. وافترضت بأن هناك شيئاً من الحقيقة في الثرثرات الجارية في الأروقة عنه.

غير أن اليكس كانت تنظر إليه من منظار مختلف.

إن معرفتها به على مدى تسع سنوات أهلتها منذ البداية إلى إدراك أنه عادل ورحيم يحمي الضعفاء. فبعد إنقاذها من تحرّش قريبه، عاملها بلطف ثم رحل... رحل حاملاً معه قلبها الفتي. وهكذا بكل بساطة، غيّر تدخله مسار حياتها.

عندما ارتدت عيناها عنه، تاقت بشدة للمسه فأدركت هذه المرة أنها لن تكتفي بأن تكون سكرتيرته الخاصة، وهذا سبب إضافي لكي يكون المهرجان نهاية الأمر بالنسبة لها. إنها خاتمة كل أحلامها.

وضعت أغراضها جانباً وتمددت متمنية أن تستطيع النوم ولو لفترة قصيرة، وقد بدت مرهقة بسبب قلة النوم والصراع العاطفي الذي تتخبط

فيه. كانت صدمة أن تستفيق أخيراً لتجد أن الظلام الدامس يلف الطائرة. تفحصت ساعة يدها. يا للسماء! كيف استطاعت أن تنام سبع ساعات؟

ربما كانت تشخر أو أن معدتها تعبّر عن احتجاجها بصوت عالٍ ولقد أحست بالإحراج من كلا الاحتمالين... نهضت اليكس من مقعدها وانصرفت إلى غسل وجهها في الحمام. وفيما كانت تسرح شعرها، لاحظت أن الطائرة بدأت تتخبط. لم تعر ذلك انتباهاً حتى انطلقت إشارة وضع حزام الأمان فوق رأسها. وضعت اليكس الدبوس الأخير في شعرها ثم غادرت الحمام وأسرعت نحو مقعدها. وفيما كانت تثبت نفسها، رأت ديمتريوس يخرج من قمرة القيادة وقد اكتسى وجهه تعبيراً جدياً.

ـ كنت على وشك القيام بذلك.

ولكنها لم تستطع سماع المزيد لأن الطائرة مرّت في مطب هوائي فاندفع ديمتريوس واصطدم بالحائط وسقط مغمى عليه فصرخت: «ديمتريوس!».

كانوا يهوون كما لو أن مغناطيساً يشدهم نحو الأسفل: «أرجوك يا إلهي، لا تدع أي شيء يحصل له».

***

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

٣ ـ أينَ كنتِ؟

ـ إنه يستعيد وعيه.

ـ لا تدعه يحرك رأسه.

ـ طائرة هيليكوبتر طبية ستوافينا عندما نحط.

ـ توقف النزيف.

ـ جيد، استمري بالضغط على الجرح.

ـ هل تظن أن ذراعه مكسورة؟

ـ كلا، ما من كسور برأيي ولكنه سيرى ندبة بشعة على كتفه لفترة.

راح ديمتريوس يسمع أصواتاً في الدقائق الأخيرة ويشعر بوخز في قمة رأسه ثم أخذ جسده يعود شيئاً فشيئاً إلى الحياة.

تنشق رائحة لذيذة تشبه الإجاص ممزوجة برائحة أخرى، كانت متأتية من يد ناعمة وباردة تمسك برأسه. يبدو أنه متكىء على شيء ناعم ودافىء فرفرف جفنيه ليفتحهما.

اعترته موجات من الدوار فطرفت عيناه مرات عدة حتى استقر بصره على عينين خضراوين تحدّقان فيه، ويبدو أنهما تحتلان وجهها بالكامل. يا إلهي! ماذا يفعلان معاً على أرض الطائرة ورأسه ملقى في حجرها.

ـ آنسة هاملتون؟

فهمست باندفاع: «أحمد الله على أنك تعرّفت عليّ».

ـ أهلاً بعودتك.

جاءه صوت مساعد الطيار الذي لا بد أنه يقف مع المضيف في مكان ما قربه.

أغمض ديمتريوس عينيه مجدداً. لعل الزاوية التي ينظر منها والإضاءة يجعلانه يظن أن أهداب سكرتيرته الطويلة والحريرية رطبة. لم يسبق له أن رآها من دون نظاراتها السميكة. إن بشرتها نضرة وفمها ممتلىء جميل.

ـ ماذا حصل؟

فشرحت له: «سقطنا في مطب هوائي قبل أن تتمكن من الجلوس مكانك».

همس متأوهاً: «أذكر الآن. هل سنحط قريباً؟».

وتمتم مساعد الطيار قربه: «نحن نقترب من مطار مقدونيا الدولي الآن».

همّ ديمتريوس بالنهوض ولكن الثلاثة أمسكوا به، وأمره المضيف: «لا تتحرك. لديك كدمة في رأسك يجب أن يعاينها طبيب».

فنهره: «سمعتكم تقولون إن ما من كسور. اجعلوني أنهض».

ولكنهم بقوا ممسكين به.

أحس بضيق في صدر سكرتيرته قبل أن تسأله: «كم عدد الأحجار في خاتمي؟».

ـ ماذا؟

ورفعت يدها مباشرة أمام عينيه لكي يتبينها جيداً فأجاب:

ـ خمسة.

ـ جيد. لا يشكو نظره من سوء يا سادة. أظن أن كيري بانداكيس يستطيع الجلوس في مكانه.

هز المضيف برأسه: «لا أدري».

ـ حسناً، أنا بلى! لا تقلق. سأتحمل كامل المسؤولية لو حصل له مكروه. والآن أرجو منكم مساعدتي لننقله بحذره إلى مقعده قبل أن نباشر بالهبوط.

تمتمت شفتاها قرب أذنه: «إياك أن تجرؤ على الإغماء الآن».

ثم طلبت من الرجلين أن يسندا ذراعيه ليتمكن من النهوض. ما إن أوصلوه إلى مقعده وربطوا له حزام الأمان، حتى تشبث بذراعي المقعد محاولاً التغلب على الدوار والإصابة مجدداً بالإغماء.

شعر بأن رأسه ثقيل وكان في الواقع يؤلمه بشدة إلاّ حين لامست شفتاها أذنه إذ أحس حينذاك بتيار كهربائي يصعقه. سمعها تقول لطاقمه: «أترون؟ إنه بخير. قل للطيار أن يلغي طلب الهليكوبتر. إذا لم يكن كيري باندا كيس بخير بعد أن يصل إلى المنزل، سترسل عائلته بطلب طبيبه».

بعد تردد، ذهب معاون الطيار إلى قمرة القيادة ليقوم بالمهام التي أوكلتها إليه. وبقي المضيف في الجوار وهو لا يزال غير مطمئن إلى سير الأمور، فسأله: «هل هذا مطلبك؟».

ـ كما قالت سكرتيرتي، أنا بخير تماماً. شكراً لمساعدتك واهتمامك. أخبر الطيّار أن الجميع ممتن لقدرته على التحكم بالطائرة في الوقت المناسب.

وأومأ الرجل الآخر مكرهاً قبل أن يختفي.

ـ عندما يتوقف العالم عن الدوران من حولي آنسة هاملتون، ذكريني أن أمنحك مكافأة للمحافظة على برودة أعصابك. لا بد أنها كانت تجربة مرعبة لك.

ـ فقط عندما شاهدتك تطير.

أضيء زر حزام الأمان وبدأوا بالهبوط فدار رأسه وبدا له صوتها آتياً من مسافة بعيدة: «لن يطول الأمر الآن».

لم يستفق إلا على سكرتيرته التي انحنت لتفك له حزام الأمان، فتنشق

رائحة الإجاص مرة أخرى.

ـ وصلنا، سيد باندا كيس.

ـ وماذا حصل لكيري؟؟

تجاهلت سؤاله: «إنهض واتكىء عليّ حين خروجنا من الطائرة».

وضع ذراعه حول كتفيها وهمّا بالخروج من الباب، واضطر للتشبث بها بعد عدة خطوات قام بها لوحده. من كان ليتوقّع دفئها ومفاتنها الأنثوية المخبّأة تحت طيات بزتها الفضفاضة.

لِمَ بحق الله ترتدي ثياباً تخفي مثل هذا القوام الرشيق؟ ولِمَ لا تضع عدسات لاصقة؟ فنظاراتها الفولاذية السميكة تخفي أحد أجمل ملامحها، وهذا ليس منطقياً.

حثته: «هيا، كدنا نصل».

ـ امنحيني دقيقة إضافية.

كان العالم يدور من حوله وكذلك حواسه فإدراكه المفاجىء لأنوثتها كسيدة من لحم ودم فاجأه كلياً... وفتح المضيف الباب.

سمع ديمتريوس وقع خطى على السلالم المؤدية إلى مدخل الطائرة: «عمي؟».

عندما ظهر شاب أسود الشعر من عمر الكس في الباب، لم تعلم من بدا متفاجئاً أكثر. فلطالما ظنّت أن ابن أخيه أصغر سناً.

توقّف فجأة حين رأى عمه يستند إليها. وكان ديمتريوس قد أغمض عينيه للحظة. استطاعت أن تفهم القلق الذي ارتسم على وجهه حين رأى شحوب عمه، فقالت له: «تعرّض السيد باندا كيس لحادث بسيط، وهو يشعر بدوار خفيف، لكن ما من شيء خطير. هلاّ ساعدت عمك على الوصول إلى السيارة، فيما أجمع حاجياتي وأوافيك».

أسرع نحو عمه ووضع ذراعه حول خصره قائلاً: «طبعاً. هل بإمكانك الوصول إلى السيارة عماه؟».

الاهتمام العميق في صوته أثر في الكس.

وجاء ردّ ديمتريوس جافاً: «ما أن أعرفكما ببعضكما البعض. ليون؟ هذه سكرتيرتي، الآنسة هاملتون الأسطورة».

نظرت إلى ابن أخيه، آملة أن يتلقى رسالتها الصامتة: «سيتسنى لنا الوقت لذلك لاحقاً وحالياً ما يهمنا هو إيصالك الى البيت».

وبوجود ليون والطيارين، تلقى ديمتريوس المساعدة اللازمة للوصول إلى السيارة وتبعتهم اليكس حاملة حقيبتيهما اللتين وضعهما المضيف في الصندوق مع الحقائب الأخرى ثم ساعدها على الجلوس في المقعد الأمامي.

نقل ديمتريوس إلى المقعد الخلفي لكي يتمكن من التمدد. ولاحظت الهالات تحت عينيه لكنه لن يقرّ أبداً بالألم الفظيع الذي يشعر به. وشكرت الطاقم ثم طلبت من ليون الانطلاق. وفيما كانوا يبتعدون عن الطائرة، سألت بنبرة منخفضة: «كم يلزمنا في الوقت للوصول إلى «الميديترانيان بالاس».

همس: «خمس عشرة دقيقة في العادة، ولكن الازدحام خانق الآن نظراً لتوافد السواح إلى البلاد بسبب المهرجان. سيستغرق وقتاً أطول».

ـ الآنسة هاملتون لن تمكث في الفندق، ليون. سر بنا مباشرة إلى الفيلا.

تبينت اليكس النظرة المتفاجئة التي رمق بها ليون عمه ولكنها تفهمت ذلك إذ أنّ ديمتريوس يشعر بالعياء الشديد ولا يمكنه تحمّل الزحمة الليلة.

انحنت لتقترب من ابن أخيه وتمتمت قائلة: «فور وصولنا إلى البيت، سآخذ تاكسي إلى الفندق».

بعدئذ، تحركت نحو الباب لتتمكّن من إراحة رأسها على الزجاج.

من الصعب أن تصدّق بأنها في اليونان.

كانت أمسية دافئة وجميلة وكانوا يعبرون أقدم المدن في أوروبا،

مدينة التاريخ. لكن بعد الصدمة التي عاشتها، كانت شديدة التوتر فلم تستطع إلا إغماض عينيها.

أمر واحد فقط يهمها، أن ديمتريوس حي يرزق وسليم معافى. كان يمكن لجروحه أن تكون أسوأ بكثير.

لم تتعافَ بعد من رؤية جسمه الضخم ملقى على أرض الطائرة بلا حياة. لو احتاجت اليكس إلى برهان على شعورها نحوه فإن تلك التجربة ستبدو دوماً اللحظة الحاسمة.

احتشد عدد كبير من الناس في الباحة لدى وصولهم عبر الممر المحفوف بالأشجار إلى الفيلا الحمراء. لم يكن المنزل كما تصورته اليكس، ولعل السبب يعود إلى اعتيادها مطالعة الكتيّبات السياحية عن الجزر اليونانية.

تقدّمت منهم امرأتان، إحداهما عجوز والأخرى في الأربعينات من عمرها، امرأة جذابة، عيناها البنيتان كبيرتان ذكّرتا اليكس بليون.

ـ ديمتريوس.

صرختا معاً على الفور ما إن ترجل ابن أخيه من السيارة وفتح له الباب الخلفي وتدفق سيل من الكلمات اليونانية من المرأتين. وتقدم أحد الخدم ويدعى كريستوفر لمساعدة ليون على إخراج عمه من السيارة.

أما سائر طاقم الخدم فوقف وإمارات القلق مرتسمة على كافة الوجوه. فمن الواضح أن الجميع يحمل محبة عميقة لكيري باناكيس وكانوا حانقين لرؤيته عاجزاً بطريقة ما. كانت اليكس تدرك شعورهم. وبعد أن ارتاحت لأنه في منزله يرتاح وسط عائلته، ترجّلت من المقعد الأمامي لتجمع أغراضها من الصندوق. وتبينت لدهشتها وهج الأضواء الأمامية لسيارة أجرة توقفت وراء السيارة. أعقب وصولها المزيد من الأحاديث باليونانية، وطغى هذه المرة صوت ديمتريوس ثم مشى ليون نحو التاكسي وتعبير مرتبك يعلو ملامحه. رأته اليكس يخرج بعض النقود من

محفظته ويدفع للسائق الذي استدار وأقلع مبتعداً.

أعلن ديمتريوس: «ليتكلم الجميع الإنكليزية، أرجوكم».

وبدا صوته قوياً وآمراً على نحو مفاجىء بالنسبة لرجل متعب.

ـ ستكون سكرتيرتي، الآنسة هاملتون، ضيفتنا لفترة سيريلدا؟ هلا تفضلت بتجهيز غرفة الضيوف في أسفل الرواق من أجلها؟ نيكولاس؟ أرجوك أحضر لها أغراضها من صندوق السيارة.

بدا أن الخدم ينصاعون لكلامه كأمر واقع. ولم تجرؤ الكس على أن تفتعل مشاجرة حينها، حتماً ليس أمام والدة ليون على ما يبدو، وأنانك التي حدقت إليها كما لو أنها زائرة من كوكب آخر.

لدى دخولهما الفيلا الفخمة، بدا لألكس أنها خطت إلى زمن آخر فاستنشقت رائحة مدينة بيزنطية قديمة.

ودّت لو تستكشف كل إنش لتتعلم القصة الكامنة وراء كل عمل فني متقن. لكن اليكس تذكّرت تحذيرات أمها: اذهبي إلى اليونان، قومي بعملك، لا تقتربي من عائلته ثم عودي مباشرة إلى البيت.

انغلق الباب الأمامي وراءها فلم يعد لديها أيّ خيار غير اللحاق بديمتريوس الذي تمكن مع بعض المساعدة من اجتياز ممرّين للوصول إلى جناحه الخاص. ورغم أنّ الكدمة في رأسه غير ظاهرة، إلا أن اليكس لاحظت أن بعض خصلات شعره الأسود مازالت مصبوغة بالدماء. تفكيرها بالحادث أشعرها بالغثيان فتباطأت خطواتها حتى انقضت لحظة الضعف المباغتة التي شعرت بها.

لازمته والدة ليون وهي تتكلم باليونانية مع ابنها بخلاف أوامر ديمتريوس الذي نادى من دون أن ينظر إليها: «آنسة هاملتون؟ عندما تغتسلين، تعالي أرجوك إلى غرفتي فهناك بعض الأعمال التي علينا مناقشتها».

ـ سآتي الآن إذا كان ذلك ما تودّه.

كانت عيناه مغمضتين وبدا منهكاً ومرهقاً. كانت الدماء تغطي قميصه المفتوح حتى منتصفه كاشفاً عن شعر صدره الأسود الكثيف. وأسدلت اليكس أهدابها لتحجب عنها الرؤية.

لم يسبق لها أن أحبته أكثر فجلّ ما كانت ترغب به هو الجلوس قربه على السرير الضخم والعناية به ومعانقته كما فعلت على الطائرة. وتألمت يداها من الخسارة.

فيما كانت تثبّت رأسه، تمكنت من درس خطوطه الدقيقة حول عينيه، وشكل فكه.

ـ لقد استدعت سيريلدا الطبيب وإلى أن يفحصك لن تناقش الأعمال أو أي شيء آخر.

ـ أمي محقة، عمّاه. دعني أساعدك لتستعد للنوم.

ـ كما ترون، أنا بخير، أشعر فقط بدوار وسيمر. أقدّر لكم اهتمامكم، لكن لدي والآنسة هاملتون مسائل لا تحتمل الانتظار لمناقشتها.

ـ أنا واثقة من كونها خائرة القوى أيضاً.

قالت اليكس شاعرة بنفاد صبر ديمتريوس خلف هدوئه: «في الواقع، نمت سبع ساعات على الطائرة وأشعر بارتياح تام. أعدك بأنني لن أدع سلفك يعمل مطولاً».

ـ ليون؟ هلا أحضرت حقيبة الآنسة هاملتون؟

أومأ ابن أخيه قبل أن يهرع خارج الغرفة ورأت اليكس يَدَيّ المرأة الأخرى تتكوران قائلة: «سأحضر لك بعض الشاي وحبوباً للصداع».

ـ لا، لا أعتقد بأن عليه تناول شيء بعد.

حدجتها أنانك بنظرة عدائية لتدخلها، فبرّرت: «لقد أشرت إلى ذلك سيدة بانداكيس لأنني واثقة من أنه يعاني ارتجاجاً».

بغض النظر عن جرحه، بدا ديمتريوس حذراً خلال توجيهه الكلام لزوجة أخيه: «أطلبي من الطباخ إعداد الشاي والسندويشات آنانكي، فسكرتيرتي نامت خلال الغداء والعشاء ولا بد أنها تشعر الآن بالجوع».

التمعت عيناها البنيتان بالغضب قبل أن تغادر الغرفة.

ـ هاك حقيبتك، آنسة هاملتون.

ـ شكراً.

ـ ليون أنا مسرور لقدومك إلى الطائرة. لم أكن لأستطيع تدبر أمري دون مساعدتك. في الصباح، سنجري حديثنا. اتفقنا؟؟

ـ عندما تشعر براحة أكبر يا عمي.

ـ سأكون بخير. هل تمانع في إغلاق الباب في طريقك إلى الخارج؟

ـ لا، بالطبع لا.

وتحوّلت نظرته الداكنة إلى الكس: «عمت مساء، آنسة هاملتون».

ـ عمت مساءً، سعيدة بلقائك.

وغمر صمت غريب الغرفة إثر رحيله.

ارتاحت الكس لرؤية عيني ديمتريوس مغمضتين. وأخيراً، تمكن من الخلود للراحة ولهذا السبب فوجئت عندما تكلم معها.

ـ بعد تجربة اليوم، أعي أنك تتمتعين منذ ولادتك إلى جانب مزاياك العديدة بقدرة على قراءة الأفكار أيضاً.

ـ تعني بشأن إلغائي الهليكوبتر.

ـ من بين أمور أخرى عديدة.

ـ قمت بذلك كحصانة ذاتية.

ـ وكيف ذلك؟

ـ أنت ابن تيسالونيكا المفضل. سيواكب الإعلام الحدث طيلة النهار إن تسربت كلمة عن نقلك إلى المستشفى في الطائرة. سأضطر بعدها

لإرغامهم على الرحيل. ولأكون صريحة، لم أتخل تحديداً عن الفكرة بعد...

ـ بعدما حسبت أنها النهاية وأن حياتك مرت أمام عينيك؟

أحنت رأسها: «شيء من هذا القبيل. أجل».

كانت تكذب إذ أن تفكيرها انحصر بأمر واحد... رجل واحد.

ـ كنت قلقة بشأن الأخبار فقد يصاب مسؤولو حكومتك بأزمة قلبية لمعرفتهم بأنك جرحت قبل المهرجان. وهكذا، سيتصدّر اسمك جميع الأنباء في الصباح.

وجاء صوته عميقاً: «أتظنين؟».

أذهلها تحليه بطاقة على المزاح في حالته.

ـ أنا واثقة من أن الطيّار الوفي قد ارتعب من الحادث ولا شك في أنه اصدر أوامر مشددة لتبقى المستشفى مستعدة تحسباً لأي طارىء لأنها ستستقبل حمولة ثمينة. والآن، لا شك أن الهواتف ترن لدى الصحافيين كلهم حاملة نبأ عودتك إلى اليونان وخبر تعرضك لحادث رهيب في الرحلة.

ـ لقد حصل وانتهى.

وبدا تعليقه حاداً فجمعت يديها معاً: «ليس لدينا أي أعمال لنناقشها الليلة. لِمَ سألتني المجيء إلى هنا؟».

ـ أنت قارئة أفكار، آنسة هاملتون. أخبريني.

أخذت نفساً عميقاً: «أظن أن زوجة أخيك محقة. تحتاج للراحة وعليّ الاتصال بالفندق».

ـ لا تقلقي بشأن الحجز. سأتولى أمره.

ـ هذه هي المشكلة. يجب ألاّ تفعل ذلك.

وفتح عينيه وبدا حذراً فجأة.

ـ ولِمَ لا؟ إذا ما كنت أحتاج إلى نقاهة خلال الأيام القليلة القادمة،

فقد يبدو ذلك منطقياً أكثر.

حاولت حمله على التعقل: «الفندق هو مكان للنوم بكل بساطة وسأكون في تصرفك في كل الساعات».

وتفاقم التوتر: «لِمَ لا تخبرينني؟».

سبق لها أن رأت مزاجه هذا من قبل، وهو لن يستسلم حتى يحصل على الرد الذي يتوق إليه. لقد أيقنت ذلك بناءً على تجربتها السابقة فمن غير المجدي محاولة خداعه.

ـ أحدهم يقطن معي.

واخترقت عيناه السوداوان المسافة الفاصلة بينهما وسأل بصوت ناعم خائب: «باني؟».

ـ كلا، اسمه مايكل. لا أظن أنني ذكرته سابقاً.

ـ كلا، لا أظن أنك فعلت. وهل يقدّر «مايكل» هذا واقع أنك في عمل هنا.

ـ نعم، طبعاً. أرجوك لا تعتقد أني حاولت إستغلال كرمك. أنوي دفع إيجار غرفتي بنفسي.

ولم تجد ضرورة لذكر أصدقاء مايكل.

ـ هل تظنين أنه سيتقبل فكرة مكوثك هنا في الفيلا حتى أتعافى؟.

لم تستطع أن تفهم لما بدا حانقاً إلاّ إذا كان ألمه أسوأ بكثير مما يبدو عليه. ففي الظروف الطبيعية، لم يكن ليسمح أبداً بأن تظهر عليه أي علامة وهن.

من الواضح أن المهرجان أكثر أهمية بالنسبة إليه مما كان يبدو عليه. ومن الطبيعي ألاّ يرغب في حصول أي سوء مع اقتراب الافتتاح، لذا فما ينبغي عمله هو ملازمته حتى يبدأ بالتحسن ويتمكن من المشي بارتياح.

في أغلب الأحيان، كانا يجلسان في مواجهة بعضهما على مكتبه

لإنجاز الأعمال حتى وقت متأخر، لذا سيزعجه الاتصال بالفندق باستمرار، كما سيعرقل ذلك الأمور.

ـ يظهر أن طلبي قد سبب لك الحزن.

علا الاحمرار وجنتيها لتعليقه الساخر وسارعت إلى طمأنته: «مطلقاً! كنت أفكر فقط بأن عليّ إحضار شيء منه».

ـ يستطيع ليون المرور بالفندق صباحاً وإحضار ما تحتاجين إليه إلا إذا كنت تريدينه الليلة.

ـ لا، إنه زيّ.

والتوت زاوية فمه بشبه ابتسامة وأبهجه كلامها لسبب ما.

ـ دعيني أخمن، ستظهرين أثناء مقابلتك التلفزيونية كزوجة لملك مقدونيا في تسالونيكا.

ضحكت بنعومة: «لا يليق بي. وبأية حال، لن أقترب أبداً من وسائل الإعلام».

ـ ومن إذاً؟

ـ الرجل المسؤول.

ـ إذا كنت تقصدينني، فلم أعد مسؤولاً عن أي شيء منذ استلمت مهمات السيدة لانداو.

لم تستسلم بل قالت: «ستحتاج إلى تجربته للتأكد من أنه يناسبك تماماً قبل أن تظهر به على الشاشة».

تململ كما لو أنه يحاول النهوض ولكنه تراجع إلى الوراء فكشفت حركته عن الكثير...

ـ هل تكلفت فعلاً عناء إيجاد زيّ لي؟

ابتلعت ريقها بصعوبة: «لقد جعلتهم يخيطونه».

وبعد صمت مثقل قال: «أعطيني فكرة عنه».

ـ حسناً. أنت قائد عسكري في تيسالونيكا في بداية القرن الرابع.

قال بصدمة: «كان هناك العشرات منهم».

ـ لكن صاحب هذا الزيّ عيّنه الإمبراطور ماكسيميليان ليحل مكانه.

ـ على ما أذكر، كان ماكسيميليان يضطهد المسيحيين.

ـ هذا صحيح. ولكن هذا القائد دافع عن المسيح وقد زجّ في السجن لمواجهته الامبراطور ثم قدم إليه ملاك من السماء وطلب منه التحلي بالشجاعة. بعد بضعة أيام، استشهد وأصبح قديساً.

وساد صمت آخر أطول بكثير هذه المرة. لقد خمن هويته وقبل أن يتكلم، سمع طرقاً على الباب ثم ظهرت مدبرة المنزل حاملة صينية وتبعها أنانكي وليون ورجل متوسط السن ملتح يحمل حقيبة طبية.

ـ إذاً، ديمتريوس، سمعت أنك تلقيت ضربة قوية على رأسك. دعني أفحصها.

نهضت اليكس لتغادر فأمرها ديمتريوس: «إجلسي وكلي آنسة هاملتون».

رمقها الطبيب بنظرة قائلاً: «لم يكن ديمتريوس يوماً مريضاً مطيعاً. وبما أنه أمر، يجدر بك الطاعة».

وضعت المدبرة الصينية على الطاولة ثم غادرت فيما وقف الاثنان الآخران يترقبان سماع كلام الطبيب. لم يكن أمام اليكس أي خيار سوى إطاعة أوامر رئيسها. وبعد أن فحص ديمتريوس طلب الطبيب من ليون إحضار الماء الساخن من الحمام لينظف له الجرح وقال: «أخبرني، كيف حصل ذلك؟».

وجاء رده جافاً: «الآنسة هاملتون تعرف أكثر مني».

نظر الجميع إلى الكس التي بلعت قضمة من الساندويش قبل أن تتفوّه بأي شيء.

ـ فيما كان يعود إلى مقعده، مرّت الطائرة بمطب هوائي فطار واصطدم رأسه بجدار الطائرة وسقط مغمىً عليه.

أزعجها تذكّر الحادث وتولّيها مهمة التحدث عنه.

ـ تبدو في حال جيدة جداً بالنسبة لما عانيته، ديمتريوس. ولكني لا أظن أنك تعاني من ارتجاج. لن أعطيك مسكّناً للألم بعد. على أحدهم أن يراقب وضعك على مدى الساعات الإثنتي عشرة القادمة. إذا ساء حالك أو نمت مطوّلاً، فينبغي عندئذ إحضارك إلى عيادتي لإجراء صور أشعة. وفي كل الأحوال، إذا سارت الأمور جيداً، فيمكنك أن تبدأ بتناول الطعام وشرب ما يطيب لك غداً ظهراً. ستشعر بدوار لبعض الوقت فلا تحاول أن تجهد نفسك عندما تنهض. اتصل بي إذا كنت تريد طرح أي سؤال.

وأغلق الطبيب حقيبته وهم بالرحيل. رافقته أنانكي إلى الباب قائلة: «سألازمه».

ـ سأبقى بدلاً منك، أماه.

ـ أقدر لكما اهتمامكما ولكن الآنسة هاملتون وافقت للتو على ملازمتي.

وصدم إعلانه الجميع وتحديداً الكس التي كادت تسقط عن كرسيها بسبب كذبه.

أكمل ديمتريوس: «لقد نامت خلال الرحلة بالطائرة والآن بما أنها مستيقظة وأنا أشعر بدوار شديد يمنعني من النوم، سيكون بمقدورنا إنجاز عملنا من دون مقاطعة».

ـ ولكنك لا يمكن أن تتوقع من سكرتيرتك أن...

ـ سكرتيرتي تتحمل كامل المسؤولية عن المهرجان، أنانكي.

وقاطعها مضيفاً: «إنها تحتاج إلى مراجعة التفاصيل معي وإذا فقدت وعيي فجأة فهي قادرة تماماً على إعلامكم. أليس كذلك، آنسة هاملتون؟».

خيّم توتر لا يحتمل في أرجاء الغرفة وسرت تيارات غريبة، كما لم

تستطع ألكس أن تفهم تصرفه. فابن أخيه يبدو متوتراً ومجروحاً وراح يرمق اليكس بنظرة غاضبة فيما عكست زوجة أخيه مشاعر ابنها. أما ديمتريوس فكان لسوء الحظ، ينتظر جواباً واحداً: «نعم، بالطبع».

***

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

٤ ـ الملاك الحارس

شعرت اليكس بذنب كبير لدى سماعها باب غرفة النوم يغلق وراء ليون وآنانكي. همس ديمتريوس: «لا تقلقي، سيكونان على ما يرام. هذا المساء، لا أريد سوى قليل من الراحة والهدوء. وبوجودك هنا كملاكي الحارس، سأنعم حتماً بالراحة التي أتوق إليها».

استطاعت أن تتبين بمجرد النظر إلى الخطوط المشدودة حول أنفه وفمه أن طاقته قد استنفدت ولا شك في أنه بدأ يشعر بآلام أخرى وتشنجات. تسلّلت من الكرسي وأطفأت جميع الأنوار آملة أن يساعده ذلك على النوم. بعدئذ، نزعت نظاراتها مستفيدة من العتمة التي تلفّها ووضعتها جانباً على الطاولة.

ـ إنه بمثل حميمية الطائرة. لا أفترض أنك ستأتين إلي لتمسكي برأسي مجدداً.

فوجئت ألكس بتعليقه ولكنها أدركت فظاعة الإحساس بالدوار. لا بد أن وضعه سيء لا سيما وأنه امتزج مع ألم مضنٍ. تمنّت لو تستطيع أن تقوم بما كانت أمها تفعله عندما يعاني والدها يعاني من صداع حاد.

لو أن اليكس متهورة لجلست إلى جواره ودلكت وجهه حتى يغفو فتبدأ برأسه ثم حاجبيه ورموشه مروراً بأنفه ووصولاً إلى فمه. كان الظلام يلف المكان، إلا أنه لم يكن حالكاً فاستعاضت اليكس عن يديها بعينيها

وتصوّرت نفسها ترسم خطاً على كل ملامحه الرجولية التي بدت لها شديدة الجاذبية. مرت ساعة قبل أن ترى الخطوط الظاهرة حول فمه تسترخي. لقد غفا أخيراً فوجدت غطاءً خفيفاً وضعته عليه. بقيت في حال تيقّظ تام لبقية الليل وكانت تتحسس نبضه وحرارته بين الحين والآخر. كانت تصغي بانتباه لأي تغيُّر في أنفاسه خوفاً من أن يدخل في نوم عميق.

وبلغت حداً تاقت فيه للمسه، فمسّدت خصلاته السوداء المجعّدة على جبينه قبل الجلوس على الكرسي التي وضعتها قربه. كانت فرحة العناية به غير مفهومة. وفي الخامسة إلا عشر دقائق، بسطت الشمس أشعتها على السرير وتسللت من خلال الستائر. وفيما انحنت نحوه مرة أخرى لتفحص نبضه، فتح جفنيه وأمسك يدها بقوة مفاجئة قبل أن تتمكن من إزاحتها، فبرهن بذلك على أنه اجتاز مرحلة الأزمة من دون عناء.

حدّقت عيناه السوداوان إلى الكرسي ثم بدتا وكأنهما تنظران مباشرة إلى أعماقها: «هل جلست قربي طوال الليل».

ـ نعم.

وخوفاً من أن يكّون انطباعاً خاطئاً، أردفت: «أخبرتك قبل أن تخلد للنوم أنك الشخص الأهم في تيسالونيكا وأردت أن أكون مستعدة لمعالجة الوضع عند الضرورة. لا يمكننا تحمّل تسرّب أي معلومات للإعلام».

ثم تمتمت بعد تفكير: «لحسن الحظ أن حدقتيّ عينيك لا تبدوان متسعتين هذا الصباح، لذا أفترض أنك تشعر بتحسن».

ـ ما زلت أشعر ببعض الدوار ولكنني أرى فقط زوجاً من العيون الخضراء بدلاً من ثلاث.

ارتجفت ألكس لملاحظته عينيها ولكنها لم تجرؤ أن تأخذ ذلك على منحى شخصي.

ـ إنها علامة جيدة تشير إلى أنك على طريق الشفاء التام.

وجدت صعوبة في الانفصال عنه عندما حرّكت الكرسي نحو الطاولة

وقالت: «ستفرح عائلتك للأنباء».

جاءت ملاحظته الناقدة لتثبت رأيها بأن تعليقه عن عينيها لم يحمل أي مغزى: «لسوء الحظ، لست مسروراً لرؤية الإرهاق البادي عليك».

ـ غفوت قليلاً. هل تشعر بالاستعداد لتناول الطعام أو الشراب؟

ـ أنا ظمآن ويمكنني ابتلاع غالون من ذلك الشاي بالعسل.

بدا وكأنه يعني ما قاله فردّت: «دعني أرسل بطلب مدبرة منزلك».

فقاطعها: «ستأوين إلى الفراش. سأتصل بالمطبخ وأسألهم إرسال صينية لنا. سيوصلونها إلى غرفتك ثم بعدئذ، يمكنك الخلود للنوم بقدر ما تحتاجين. سنتكلم لاحقاً في الأعمال عندما تستفيقين وتستعيدين نشاطك».

لقد كانت سكرتيرته وقد نفاها إلى غرفة الضيوف. كان ذلك دليلاً أكيداً على إحكامه السيطرة على الأمور مجدداً. غادرت غرفته من دون أن تناقشه وأغلقت الباب. عندما أغلقت الباب شعرت بانتفاض قلبها فتلك اللحظات الثمينة من الحميمية خلال مرضه، لن تعيشها مجدداً. بعد بضع دقائق، وقفت تحت الماء الساخن محاولة إبعاد تحذير أمها عن تفكيرها ولكن الأوان قد فات.

تحرك ديمتريوس ببطء ليدرك الهاتف وبدت مدبرة منزله مرتاحة لطلبه الطعام، وأخبرها أن ترسل صينية فطور إلى غرفة الضيوف وأخرى إلى غرفة نومه. بعد إقفاله السماعة، أدرك أن الآنسة هاملتون غطته أثناء الليل بدثار. لقد قامت بأكثر من ذلك فلقد أحس بأصابعها تمر على جبينه كأجنحة الملائكة. ورغم انقضاء ساعات على ذلك، ما زال بإمكانه الشعور بلمستها الناعمة التي أرسلت شرارات كهربائية فيه. لقد رغب في الواقع في أن يضمها إليه و...

يا إلهي! لا بد أن حادثة الطائرة أثّرت فيه أكثر مما يظنّ إذ لم يحدث له طوال السنوات الماضية أن شعر بإغراء لخرق نذره.

صدم للمشاعر التي اعترته نحوه سكرتيرته من بين كل النساء فعاهد نفسه مرة أخرى على عدم السماح لها بأن تزعجه مجدداً.

أزاح عنه الغطاء ونهض من السرير. حركته هذه جعلته يشعر بألم في كتفه فأجفل فيما تشبث بقائمة السرير حتى يستعيد توازنه.

آلمته كل عضلة في جسمه ولكنه وقف لوحده. لم يفاجئه سماع طرق على الباب فلا بد أن الجميع مستيقظ منذ ساعات.

ـ عمي؟ قالت سيريلدا إنك أرسلت في طلب الفطور. هل أستطيع الدخول؟

ـ بالطبع.

دخل ابن أخيه وبدا قلقاً لرؤية ديمتريوس واقفاً قرب السرير: «هل عليك النهوض الآن؟».

ـ أنا بخير.

ـ إنه سرور كبير لي. دعني أساعدك للوصول إلى الحمام.

ـ اسمع، ابقى قريباً مني فيما أحاول الوصول إليه بنفسي.

كابد للوصول ولكنه نجح من دون الاعتماد على دعم ابن أخيه.

ـ كن حذراً، عماه. طلب الطبيب ألاّ تغسل رأسك اليوم.

ـ شكراً على تذكيري.

الحمام الساخن جعله يشعر بتحسّن في كتفيه، ثم حلق ذقنه وارتدى مئزراً نظيفاً. عندما وافى ابن أخيه لتناول الفطور، كان قد عاد الى طبيعته تقريباً، إلاّ في ما يتعلق ببعض الأحداث في الذاكرة. لا يزال يذكر ذراعيها اللتين احتضنتاه على الطائرة ولمستاه عندما كانت تحسبه نائماً.

ـ أتمنى ألا تكون الآنسة هاملتون قد أبقتك مستيقظاً حتى وقت متأخر.

انهى ديمتريوس كوب عصير الليمون دفعة واحدة. وعندما وضع الكأس الفارغة، قال: «ليس عليك أن تقلق. إنها من تلك السكرتيرات

النادرات اللواتي يلبين كل احتياجاتي».

من المبالغة أن يتمنى استعادة أحداث ليلة أمس هذا المساء أيضاً. أدرك ديمتريوس مجدداً أنه كان يسلّي نفسه بأفكار لاتمت للواقع بصلة.

ـ أنا سعيد لتحسنك يا عمي.

بعد تناوله عجة بالجبنة وبسكويت بالزبدة، أحس أنه على استعداد تام لتولي شؤون شخصية صغيرة.

ـ قد أكلّفك بمهمة وبعد ذلك سنخرج إلى الشرفة مع والدتك للحديث. هل تمانع في إحضار هاتفي الخلوي؟ إنه في جيب سترتي على الكرسي وسأحتاج أيضاً إلى مفكّرة الهاتف.

ـ لا تتحرك. سأحضر كل شيء.

وما إن سلمه ابن أخيه ما طلبه، فتش عن رقم الفندق وطلبه.

ـ ميديترانيان بالاس. كاليميرا.

ـ كاليميرا. ديمتريوس بانداكيس يتكلّم. صلني بجناح الآنسة هاملتون، أرجوك. إنه محجوز باسمي.

ـ سيد بانداكيس! سمعنا أنك تعرّضت لحادث.

ـ إنه تافه ولكنني بخير.

ـ يسرّني سماع ذلك. لحظة وسأصلك به.

ـ شكراً.

أجاب رجل بالانكليزية بعد أن رنّ الهاتف للمرة الثالثة: «تأخرت في الاتصال الكسندرا ولكنه أفضل من عدمه، عزيزتي. ماذا حصل؟ لقد بدأت أتساءل ما إذا كان زيوس قد اختطفك على متن طائرته الخاصة ولن أراك مجدداً».

أحسّ ديمتريوس بتدفق الأدرينالين في جسمه فقال: «أنا ديمتريوس بانداكيس. آسف لتخييب رجاءك ولكن الآنسة هاملتون تقطن في الوقت الحاضر في الفيلا عندي. أنت مايكل، على ما أفترض».

ـ هذا صحيح.

ـ سكرتيرتي نائمة ولكنني واثق من أنها ستتصل بك فور استيقاظها. لقد ذكرت زياً، هل هو لديك؟

ـ أجل.

ـ سأرسل ابن أخي لإحضاره بعد نصف ساعة. اسمه ليون بانداكيس.

ـ هلا أخبرته بموافاتي في بهو الاستقبال، سأكون بانتظاره.

ـ وكيف سيتعرف عليك؟

ـ سأحمل زياً ذهبياً بيدي.

قبض بحزم على هاتفه. لقد جلبت له فعلاً زي القديس ديمتريوس!

ـ شكراً لك، مايكل.

ـ على الرحب والسعة سيد بانداكيس.

بعد إقفاله الخط، شعر برغبة طفولية في قتل الرجل. ما الذي دهاه بحق السماء؟

ـ عمي؟ هل أنت على ما يرام؟ هل تشعر بالغثيان؟

حدّق إلى ليون، غير قادر على شرح ما يعتريه، وترك ابن أخيه على قلقه ومزيج من المشاعر المضطربة تعتمل في داخله.

ـ لا. أسدِ لي خدمة ومرَّ بفندق ميديترانيان بالاس. ثمة رجل صديق للآنسة هاملتون، ينتظرك في البهو حاملاً زياً. ستتعرف عليه من الصولجان الذهبي الذي يحمله.

ـ يبدو ذلك مثيراً. سأذهب فوراً.

ـ شكراً لك، ليون. وفي طريقك إلى الخارج، هلا طلبت من أحد الخدم إحضار جرائد الصباح لي؟

أومأ قائلاً: «عدني بألا تتحرك أثناء ذهابي».

ـ أعدك بذلك.

وفور مغادرة ابن أخيه، اتصل بستافروس الذي بدا متأثراً لسماعه

صوت ديمتريوس.

يبدو أن العائلة بأسرها سمعت بحادث الطائرة من صفحات الجرائد الصباحية وكانت قلقة عليه.

سارع ديمتريوس إلى طمأنة ستافرو. وخلال حديثهما، أحضرت له سيريلدا الصحف ثم خرجت حاملة الصينية فارغة.

لقد صدقت توقعات سكرتيرته لأن اتصال الطيار بالمستشفى تصدر عناوين الصحف. تباً للإعلام! ألقى الجريدة جانباً باشمئزاز وأخبر ستافروس بنزق أنه سيعاود الاتصال به لاحقاً. بعد إقفاله الخط، أدرك أنّ عليه الاتصال بـ «فازو» على الأقل ولكنه لم يستطع حمل نفسه على ذلك. إن أسلوب ذلك الرجل المدعو مايكل في الإجابة على الهاتف ـ الكسندرا عزيزتي! من دون الانتظار لمعرفة هوية المتصل، أثار حنقه. لم يستطع ديمتريوس منع نفسه من التساؤل متى سيظهر باني أيضاً في تيسالونيكا. أين ومتى تخطط الآنسة هاملتون للقائه؟ على سكرتيرته أنّ تقطع نفسها إرباً لترضي الرجلين وتقوم بعملها في الوقت نفسه. ورغم أنها لم تفعل شيئاً لتخيّب أمله أو لتغضبه، سرّه معرفة أنها تنام لوحدها في غرفة الضيوف. وراهن على أنّ ما من رجل منهما سيكون سعيداً بمعرفة أنها قضت ليلة أمس برفقته.

هل ستخبرهما أنها قضت الليل معه وسبب ذلك؟ أم أنها ماكرة؟ قد تكون سكرتيرته غشاشة ككل النساء عندما يتعلق الأمر برجل ما، ومن الجيد إبقاء ذلك في ذهنه.

ـ لقد عدت!

ودخل ابن اخيه الغرفة للمرة الثانية هذا الصباح، وهو يحمل كيساً بإحدى يديه وصولجاناً ذهبياً في الأخرى.

ـ أرى أنك وجدت مايكل!

ـ يستحيل إضاعته. أظنه كان مهموماً قليلاً لأنه من المفترض أن يكون

الزيّ مفاجأة لك.

ـ لقد سبق لسكرتيرتي أن أخبرتني بذلك.

ـ لا أظنه يدرك ذلك. بدا لطيفاً. إنه أميركي جداً، أتعلم؟ ولكنه ممتع حقاً.

لم يكن ديمتريوس بحاجة إلى ملاحظات ليون الايجابية. ومن جهة أخرى، لم يكن لديه الحق في انتقاد أي شيء. لكنه أرسل ابن اخيه إلى الفندق لهدف محدد وهو معرفة المزيد عن الرجل الذي سيشاطر الآنسة هاملتون غرفتها خلال وجودها في اليونان. إذا لم يضع حداً لحشريته نحو سكرتيرته، فسيقع في ورطة كبرى.

ـ هل تعلم ما هذا عماه؟

وأعاده السؤال من أفكاره الغريبة: «لدي فكرة وافية».

ـ هل أفتح الكيس؟

ـ على ضوء هذه الظروف، أظن أنني سأدع سكرتيرتي تقوم بذلك عندما تستيقظ.

ـ هل هذا لك؟

ـ أخشى ذلك.

وعبس ابن أخيه: «إنها حتماً لا تعرفك جيداً إذا ظنت أنها تستطيع حملك على ارتداء زي في المهرجان».

فقال ديمتريوس في سره: ستُصدم حين تعرف مدى قدرتها على قراءة أفكاري وتلك هي المشكلة. ولهذا نجحت في التغلغل في مسامي دون أن أعي ذلك.

وهمس ديمتريوس: «ما يهمني هو تفكيرها بذلك. أفترض أن أمك قد استيقظت».

ـ منذ ساعات.

ـ لنبحث عنها إذاً! هلا تفضلت أثناء خروجك بوضع الزي في

خزانتي؟

ـ سأقوم بذلك فوراً.

***

يستحيل أن تكون الساعة السادسة مساءً! ولكنها كذلك. نهضت اليكس من السرير الذي نامت فيه مطوّلاً والقلق يساورها على مديرها. لقد استعاد جسدها حيويته. وفور ارتدائها إحدى بزاتها المتحفظة، رتّبت شعرها، وحين وقفت قبالة مرآة الحمام، تذكرت أنها نسيت نظاراتها في حمامه. تنبهت إلى أن كل من سينظر إليهما سيدرك أنهما للزينة، وأدركت مدى أهمية استرجاعهما في اقرب وقت ممكن. سيوفر لها الاطمئنان على ديمتريوس عذراً وجيهاً للذهاب إلى غرفته، ولكن قبل أن تقوم بأي شيء آخر، عليها إجراء بضعة مكالمات هاتفية. أحبطت لسماعها بأن مايكل وأصدقاءه ليسوا في الفندق فتركت لهم رسالة ترحيب.

مع إنهاء مخابراتها، غادرت غرفة الضيوف وتوجهّت إلى جناحه. طرقت الباب متسائلة عما إذا كان موجوداً في الداخل.

ـ الباب مفتوح.

وقفز قلبها لدى سماعها صوته العميق فدفعت الباب ودخلت. كان يجلس على سريره وقد أسند ظهره إلى أعلاه.

راحت تتأمله من ساقيه إلى بنطلونه القصير الأبيض وقميصه الأزرق. وابتلعت ريقها بصعوبة فذراعا ديمتريوس كانتا سمراوين ومفتولتي العضلات كساقيه.

شعرت بالإحراج لأنه باغتها وهي تحدّق فيه، فراحت تشغل نفسها بالتفتيش عن نظاراتها التي كانت على طاولة القهوة. لقد تحسن كثيراً واستعاد لونه وسرّت لرؤية الجرح تحت عينيه قد اختفى ما جعلها تتساءل عن جرأتها في لمسه كما فعلت ليلة أمس. أطفأ التلفزيون وتفحصها: «تبدين مسترخية، آنسة هاملتون. تعالي إلى هنا. سيحضرون العشاء بعد

قليل وفي هذه الأثناء، لدينا عمل ننجزه».

أحضرت حقيبتها وتوجّهت إلى الطاولة: «لا بد أنك تشعر بالتحسن».

ـ أنا أتماثل للشفاء. قلت إنك أعددت لي نسخة عن برنامج الاحتفالات.

ـ أجل، هل يفترض بك إجهاد عينيك؟ قد تجعل القراءة صداعك أسوأ حالاً.

ـ لقد قرأت صحف الصباح والمساء بحذافيرها ولم أشعر بأي سوء.

بعض الناس يتماثل بسرعة كبيرة للشفاء ومنهم ديمتريوس. بدا رئيسها سعيداً كفهد نشيط عالق في قفص، يحوم حول القضبان مفتشاً عن منفذ للهروب. فتشت في حقيبتها وعثرت على الورق المطلوب: «تفضل».

أخرجت جهاز الكمبيوتر النقّال بعدما وضعت الورق على السرير قربه. ما إن وضعت الكمبيوتر على فخذيها وأدارته، حتى أخرجت منه الملف المطلوب قائلة: «إذا رغبت في البدء، فأنا جاهزة لإجراء أي تعديلات».

ـ قربي كرسيك لئلا نضطر إلى الصراخ لبعضنا.

لم ترَ اليكس أي حاجة للصراخ فهو يكلّمها بصوت منخفض وقد تمكنت من سماعه جيداً ولكنها نفذت اقتراحه. رفعت رأسها بخضوع مترقبة أن يتكلم أو يضيف أو يحذف شيئاً، وتركز اهتمامها على زي ذهبي ممدد على الغطاء أسفل السرير الخشبي، لم تكن قد لاحظته عندما دخلت الغرفة.

حوّلت نظرتها المتسائلة إلى رئيسها الذي حدّق فيها بدوره بتعبير راضٍ لم يخدعها به.

اعترف قائلاً: «وجدتني أتحرق لرؤيته لذا أرسلت ليون إلى الفندق

هذا الصباح. وافاه مايكل به في البهو».

هل علم ديمتريوس بأن هناك ممثلين آخرين يقيمان أيضاً هناك؟ هو طبعاً لم يكن يحفل بذلك وهي لم تذكر له الآخرين لأنها لم تشأ الخوض في أي حديث ثانوي.

ـ لم يكن طبيبك يمزح عندما قال بأنك مريض متعب. لو علمت إنك ستشعر بالضجر اليوم، لسألت ستافروس المجيء لتسليتك.

وأضافت وهي تنهض باحثة عما تقوله: «شيء ما يقول لي إنك كنت تتلصص على هدايا الميلاد قبل أن يحين موعد فتحها بوقت طويل».

ـ كنت مذنباً في تصرفاتي.

أخذت اليكس نفساً عميقاً، محاولة التحلّي بالهدوء: «وما رأيك به؟».

ـ لم أره بعد. علّق ليون الكيس في خزانتي وفكرت بالتريث حتى تفتحيه أنتِ أمامي.

ـ نظراً لما تكبدت من عناء في إحضاره، أنا مندهشة لأنك تحلّيت بالصبر.

ـ بعض المفاجآت تستحق أن نتذوقها.

وذهلت لاهتمامه بكل ذلك فقالت: «بصراحة، لم أره بنفسي. لقد اعطيت الخيّاط الرسم منذ أشهر ولم يكن جاهزاً حتى اللحظة الأخيرة، لذا طلبت من مايكل إحضاره معه».

ـ لِمَ لا نقوم بتجربة سريعة قبل العشاء؟.

ـ ظننتك تود العمل.

ـ بطريقة غير مباشرة، فالزي الذي سيسوق للمهرجان يصب تماماً في هذا المجال.

أحكمت قبضتها على جهاز الكمبيوتر قبل أن تنهض لتضعه على الطاولة.

ثمة أشياء حميمة في الحياة. فلو كانت خطيبته أو زوجته، لما تخيلت مكاناً أروع من قضاء الوقت في غرفة نومه والتفتيش في خزانته لإحضار الثياب له.

كان هذا هو الخطر الذي تكلّمت عنه أمها، أن تشاطره كل شيء عدا الأهم... نادته: «ما هو لون الكيس؟».

ـ أزرق داكن.

كانت خزانته كبيرة الحجم ورأت أكياساً عدة تنطبق عليها هذه المواصفات. وقبل النظر في داخل كل منها، قررت فتح خزانة الحائط فلعله وضعه هناك لكي يسهل إيجاده ثانية..

ما اكتشفته جعلها تنسى سبب وجودها إذ رأت صناديق مليئة بالميداليات، والشهادات والكؤوس المرصوفة بترتيب بعضها كبير والآخر صغير. وبدا جلياً من إحدى الجوائز التي تظهر رجلاً يتسلّق الجبال، أنه خبير في التسلّق.

تذكرت رحلة قام بها في حزيران. قال إنه سيغيب عن المكتب أسبوعاً وإنها لن تكون قادرة على الاتصال به وإن عليها استشارة ستافروس في حال حصول مشكلة. عاد وقد اكتسب سمرة فافترضت اليكس أنه ذهب للإبحار. ولم تكن تملك أدنى فكرة عن أنه يهوى الجبال.

ـ أنت لم تتوهي، أليس كذلك آنسة هاملتون؟

أوصدت الخزانة بسرعة: «سأعود حالاً».

ومن دون أن تضيع مزيداً في الوقت، أخرجت الكيس من الخزانة وتوجهت إلى كرسيها. وعندما أخرجته صدرت عنها صيحة ناعمة إذ رأت جمال الزي.

طابق الزي الرسم الملوّن الذي صممته الكس مستعينة بأيقونة سان ديمتريوس اليونانية الشهيرة. ووجدت حذاء عالي الساقين، ذهبي معتق في قعر الكيس.

ـ أحضري كل شيء إلى هنا.

نفذت طلبه قائلة: «تخيّل نفسك على متن جواد، مرتدياً هذا الزيّ وحاملاً بالطبع صولجانك».

سيبدو جميلاً كما فكرت الكس.

رفع أحد حاجبيه قائلاً: «هل تدبرت لي أمر حصان أيضاً؟ وهل سأجري الحوار على ظهره؟».

لم يستطع تماسكها إخفاء التورد الذي زحف إلى عنقها ووجهها. وسمعت طرقاً على الباب فأدارت رأسها.

ـ عماه؟ لقد جلبت لك العشاء.

ورأت ليون يدخل الغرفة جاراً أمامه عربة محملة بالشاي والطعام.

ـ آمل أن تكون جائعاً لأن الطباخ أتقن....

صمت فجأة عندما رآها تقف قرب السرير حاملة الزي.

ـ آسف لم أشأ المقاطعة.

ـ لا بأس ليون. كانت سكرتيرتي تريني للتوّ ما قد أعدته لي للمقابلة التلفزيونية المخصصة لافتتاح المهرجان. ما رأيك؟

ودنا ابن أخيه لتفحص الزيّ، فتجوّلت عيناه بذهول من غرض إلى آخر ثم نظر إليها بإعجاب. وهمس: «إنه مذهل. لقد أحسنت اختيار زي شقيعه».

ـ أخبرتك أنها ذكية يا ليون.

ـ ولكن عمّاه، إنه رائع فعلاً.

واستمر في تأمله ثم نظر إليها. فقال عمه: «أسد لي خدمة وارتده لأتمكن من رؤية ما سأكون عليه فيه».

وحثته الكس: «فكرة رائعة فأنت بنفس طول عمك. وإذا كان يشكو من شيء، فسأكون قادرة على إتمام التعديلات في الوقت المناسب».

وتناول الزي منها.

ـ كيف علمت بشأن القديس ديمتريوس؟

ـ أحب تاريخ الفن الأوروبي.

ـ وأنا أيضاً! من المؤسف ألاّ تتمكني من رؤية الأيقونات وزجاج النوافذ المزخرف على جبل آتوس.

ـ إنه الجبل المقدس الذي يحرَّم على النساء وطأه.

ـ أتعلمين ذلك أيضاً؟

وابتسمت: «أفترض أن كل امرأة درست تاريخ اليونان، قد سمعت به. أظن أنه من المحزن أن يتمتع الرجال وحدهم بجماله فلولا النساء لما أبصر هؤلاء الرهبان النور منذ البداية. في الواقع أظن أنه من المحزن أيضاً ألا يتمكنوا من الزواج والتعبُّد لله في الوقت نفسه. إنهم يفوّتون عليهم الكثير. هل تقدر أن تتخيّل عدم رؤية ميلاد ابنك؟».

قالت جملتها الأخيرة من دون تفكير، فتجهّم وجه ديمتريوس وتزامن ذلك مع نظرة عدائية حدج بها ليون عمه، فأدركت أن كلماتها جرحتهما معاً.

تفادت عينا ليون عينيها حين سلّمها الأغراض وغادر الغرفة: «هلا عذرتماني. تذكرتُ للتو أن عليّ إنجاز أمر ما».

شعرت اليكس بالغثيان. لطالما كان ليون شديد التهذيب ومتماسكاً أمام عمه. لا بد أنها جرحته فعلاً ليرحل بهذه الطريقة.

ـ آسفة جداً.

ـ لِمَ، آنسة هاملتون؟ لصراحتك؟

هزت رأسها بالنفي: «أنا التي حملته على الانسحاب بتعليقاتي. لم أقصد الإساءة ولكنني واثقة من أن هذا ما بدت عليه كلماتي بالنسبة له ولك أيضاً».

قال: «لا بد أنك تعلمين أنه على مفترق طرق في حياته، وهو يشعر بذلك. فرحيله المتسرّع من الغرفة لم يكن له علاقة بك. والآن أظن بأنه

يجدر بنا تناول العشاء قبل أن يبرد. وربما مع انتهائه، سيعود ليون لإلقاء تحية المساء، ويمكننا التحايل عليه حينها لتجربة زيّك الخلاّب».

كان ديمتروس يبذل قصارى جهده لإراحتها ولكن بدا جلياً أن تعليقاتها أزعجته وأزعجت ابن أخيه.

ودت لو بإمكانها محو تلك الحادثة. وبعد أن أعادت الثياب إلى مكانها، دفعت عربة الطعام ووضعتها قرب ديمتريوس، إلا أن قلبها كان مثقلاً لأنها أدركت أن ليون لن يظهر ثانية الليلة.

ستغادر في صباح الغد لتتفقد معرض الحرير في سوفلي حتى ولو عنى ذلك تحدّي رئيسها. إن قربها من ديمتريوس أثر فيها سلباً.

قبل يومين فقط من افتتاح المهرجان، كانت تحتاج للتركيز لتتأكد من أن كل شيء على ما يرام. ستعود بعد ذلك إلى تيسالونيكا لتنزل في الفندق. كانت في حاجة إلى مايكل ورفاقه لتحصل على الضحك والصداقة. وفور وصول باني، سينضم إليهم وبمساعدتهم ستتخطى هذه التجربة المرة. لم يكن لديها خيار آخر.

* * *

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

٥ ـ رفيق درب

أفاق ديمتريوس في الصباح التالي وهو يشعر بأنه استعاد نشاطه السابق. ورغم أنه ما زال يتألم قليلاً، إلاّ أنّ كل أثر للدوار اختفى. أدرك أنه لم يتصرّف مع سكرتيرته كعادته في الأيام الأخيرة. وصمم على إعادة بناء ذلك الفاصل المهني بينهما، وأمل في أن تكون الآنسة هاملتون جاهزة للذهاب. عندما دخل غرفة الطعام باحثاً عن ليون، وجد آنانكي تتناول الفطور وحدها. حياها قبل سؤالها عن ابن أخيه فنظرت إليه بعينين متألمتين: «هل تظن أنه سيمكث بعد الطريقة التي أهنته بها البارحة؟».

صبّ لنفسه فنجان قهوة ثم وقف يحدّق إليها فيما كان يشربه: «ماذا قال لك بالتحديد؟».

ـ أنك ناقشت حياته الشخصية مع سكرتيرتك وقد تجرأت على إعطاء رأيها كما لو أنها تمتلك الحق. كيف أمكنك خيانته هكذا؟.

فأجابها: «أنا لم أناقش مسألة ليون مع الآنسة هاملتون قط. ولكن قد يهمك أن تعلمي أنها تقف إلى جانبك من دون أن تعي ذلك».

اتسعت عينا آنانكي: «وماذا تعني؟».

أخبرها بعبارات قليلة ما حصل.

ـ من الواضح أن رأيها أصابه في الصميم وإلا لما غادر الغرفة مسرعاً.

كان ابن أخيه بحاجة لسماع كلام كهذا قبل أن يتخذ قراراً نهائياً بشأن مستقبله. لكن آنانكي ألحت: «لكن يمكنك تبين سبب غضب ليون. فمنذ

عودتك من نيويورك وأنت صعب المنال».

حتى آنانكي أحست باهتمامه بالآنسة هاملتون. حسناً! لقد انتهى ذلك الآن.

أنهى قهوته وقال: «لقد قضيت جزءاً من بعد ظهر أمس معك ومع ابن أخي».

ـ ولكننا لم نتوصل إلى حل.

ـ علينا أن نمنحه الوقت للتفكير آنانكي، فربما هذا كل ما يحتاجه ليدرك أنها مرحلة عابرة.

هذه الكلمات الناقدة كانت لتنفع كعظة له هو، ويستحسن أن يكون اهتمامه بالآنسة هاملتون مجرد مرحلة. وقفت آنانكي عن الكرسي: «ثمة شيء فيك مختلف منذ عودتك».

إنه يدرك ذلك تماماً وأفضل مما يعيه الكل، ولكنه أردف قائلاً: «إذا بدوت مختلفاً فهذا لأنني أشعر بعبء ومسؤولية الأب من دون أن أكونه. وربما حان الوقت لتعلمي أن أخي لم يود يوماً أن يكون طرفاً في أعمال العائلة كذلك».

هزت رأسها: «هذا ليس صحيحاً!».

ـ أنا لا أكذب عليك فلطالما كان ليون يفضل الحرية.

ـ أنت لا تعني حتماً أنه كان يفضل أن يحظى بوظيفة في الغابة على العمل في شركة بانداكيس!

دوّت ضحكتها الحانقة في الغرفة. وجاء صوته: «لا أعلم ما كنت مشاريعه».

وتابع في سره: وبفضلك أنت لن نعرف حتماً.

ـ ما أقصده هو أن ابن أخي يبدي اللامبالاة نفسها بإدارة الأعمال كأبيه.

وعبرت نظرة متألمة وجهها وردت: «أنت بارد جداً، ديمتريوس. ألا

تحفل بأنه قد يتركنا للأبد؟».

ـ أنت تعلمين الإجابة على هذا السؤال ولكن الضغط الشديد سيدفعه إلى الاتجاه الآخر بسرعة فائقة.

ـ ما كنت لتقول ذلك لو أنه ابنك.

ـ لو كان ليون ابني وأنا من توفي، لأصغى أخي إليه وحاول أن يرشده بقدر الإمكان وثم تركه يقوم بخياراته الخاصة. لحسن الحظ أنه لم يتخذ بعد قراراً نهائياً.

وتفحص ساعة يده: «علينا إكمال هذه المحادثة في وقت آخر. علينا أنا وسكرتيرتي أن نتوجه إلى المكتب».

ـ لقد غادرت للتو.

أدار رأسه إلى الوراء. تلك الحركة المفاجئة ذكرته بإصابة رأسه الحديثة: «متى؟».

ـ رأيتها تغادر في سيارة أجرة منذ نصف ساعة.

فخمن فوراً أن مايكل طلب منها المجيء إلى الفندق قبل أن تبدأ العمل. أحس ديمتريوس بأنه تلقى لكمة في معدته فقال لها: «إذا رغب ليون في الكلام، فقولي له أن يتصل بي على هاتفي الخلوي. سأراك لاحقاً».

غادر غرفة الطعام واتصل بكريستوفر ليحضر السيارة إلى المدخل. وفيما كان منتظراً، اتصل بسكرتيرته على هاتفها الخلوي.

لم يكن يحفل لو جاء اتصاله في لحظة غير مناسبة لها، ولدهشته، أجابت على الفور: «هالو؟».

ـ صباح الخير آنسة هاملتون؟

ـ سيد باندراكيس. كيف حالك؟

بدت مشرقة، فصرّ أسنانه محاولاً إبعاد بعض الصور عن ذهنه، وأردف قائلاً: «جيد بما يكفي للتوجه إلى مكتبي. هل أمر بالفندق

لاصطحابك؟».

ـ أنا لم أدرك أنك ستذهب إلى العمل اليوم.

فقال في سره: يبدو ذلك.

قال محاولاً تهدئة غضبه: «هل يشكل ذلك مشكلة لك؟».

ـ أجل في الواقع.

تنفس ديمتريوس بحدة: «متى أستطيع توقع مجيئك؟».

ـ غداً صباحاً! ظننت أنك تحتاج إلى يوم آخر من النقاهة، لذا فكرت بأنه الوقت المثالي لزيارة سوفلي وتفحص الاستعدادات. ستقلع رحلتي الآن.

فسألها غير مصدّق: «أنت في المطار؟».

ـ أجل. إنها واحدة من تلك الطائرات الصغيرة التي روّجنا لها من أجل المهرجان. وبعد هبوطها، سأستأجر سيارة لأقود ما تبقى في الطريق. إذا كانت السيارة في انتظاري في المطار كما طلبت، فلا أرى عندها أي مشكلة بالنسبة للراغبين في حضور المهرجان. سأتحقق من معرض الحرير على الطريق، وفي حال وجود عثرات، سيكون لدينا الوقت الكافي غداً لإصلاحها. سأعود على متن الطائرة إلى تيسالونيكا في الصباح وأوافيك مباشرة بالتقرير إلى مكتبك.

لا يمكن لأي رئيس أن يطلب أكثر من ذلك من سكرتيرته. إنها تهب كل وقتها للعمل وليس لديه أي حق للغضب منها. لا يحق له أبداً.

همس وهو يحاول التعافي من صدمة مغادرتها الفيلا:

ـ ابقي على اتصال بي.

ـ أجل، طبعاً. آسفة سيد باندراكيس ولكن علي أن استقلّ الطائرة الآن وإلا فسيقفلون البوّابة. إلى اللقاء.

إلى اللقاء؟ أزعجته نبرتها المرحة كثيراً. إذا ظنّت سكرتيرته أنها لن تراه حتى الغد، فسيكون عليها أن تعيد التفكير. استعمل هاتفه ثانية فألغى

السيارة ثم أرسل في طلب هيلكوبتر. وقبل مجيئها، أجرى اتصالاً آخر بنزل في داديا لحجز غرفتين لليلة. بعد إتمام ذلك، عاد إلى غرفته لإحضار مزيد من الثياب وحقيبته.

كان يعلم أمراً واحداً عن الآنسة هاملتون. وهو أنها لن تكذب عليه. لكن ذلك لا يعني أنها ذهبت إلى سوفلي لوحدها. وإذا كان اللحاق بها يعني مقاطعة شيء حميم، فليكن ذلك.

اجتازت الكس صالات مطار الكسندروبوليس وصولاً إلى منصة استئجار السيارات حيث تدبرت أمر التنقل. أينما أجالت نظرها، كانت ترى أعلاماً ولافتات دعائية عن المهرجان تماماً كما في مطار تيسالونيكا. ساد جو احتفالي في المكان وبدا أنه سرى في الجميع عداها فليلتان قرب ديمتريوس خلفتا فيها ألماً جسدياً لا يزول.

لقد غادرت الفيلا باكراً هذا الصباح لتفادي رؤيته. ظنّت أنها تخلصت منه حتى سمعت صوته العميق والمألوف عبر الهاتف في المطار. شعرت بألمها يتعاظم لذا لا بدّ أن تستقبل من عملها فور انتهاء المهرجان.

ـ كاليميرا، أدعى الكس هاملتون. طلبت سيارة.

وأخرجت جواز سفرها فابتسم الموظف ملء شدقيه.

ـ إنها السيارة السوداء ذات الأبواب الأربعة الواقفة أمام المبنى...

وأردف بلكنة انكليزية جميلة: «لا يمكن أن تفوتك فهي تحمل شعار شركتنا على الزجاج الخلفي».

ـ شكراً.

عندما لم يضف شيئاً آخر، قالت: «هل لي بالمفاتيح؟».

ـ لقد زوّدناك بسائق يتكلم الإنكليزية.

ـ لم أكن أعلم.

ما كان لها أن تتفاجأ فلقد كفل لها اسم بانداكيس خدمة مجانية، فديمتريوس رجل مميز ولا أحد يعلم ذلك أكثر من الكس. كان ديمتريوس

يدفع لها راتباً مرتفعاً لتفعل ما يطلب منها من دون إرهاقه بالطلبات. وقد تكون رجلاً بنظره وفقاً للاهتمام الذي يبديه حيالها كامرأة.

ـ استمتعي برحلتك إلى سوفلي.

ملاحظة الرجل أعادتها من أفكارها المعذّبة: «شكراً».

حملت حقيبتها وشقت طريقها خارج البهو المزدحم. عندما اقتربت من العشب حيث وقف صف من السيارات، لاحظت وجود بعض السيارات السوداء. فبدأت بالتفتيش عن شعار وكالة التأجير.

ـ الكسندرا؟

استدارت متفاجئة لسماع اسمها وكاد يغمى عليها عند اكتشاف هوية المنادي.

ـ ديمتريوس.

كانت الكس تفكر فيه فانزلقت الكلمة قبل أن تعي ما قالته. كان يضع نظارات شمسية وهذا أمر نادر، ولكنها افترضت أن عينيه لا تزالان حساستين على النور.

علّق: «جميل أن أسمعك تقولين اسمي».

فاختنقت أنفاسها فجأة: «لا... لا أدري ماذا تقصد».

أذهلتها ابتسامته الناصعة: «لقد تخطينا مرحلة الرسميات منذ وقت طويل ويمكن أن نستعمل الأسماء الأولى في الخفاء. ألا توافقين؟».

وتناول الحقيبة من يدها ووضعها في صندوق السيارة. وفيما كانت تراقبه، أدركت أنه موجود فعلاً هنا ليجعل الأمور أكثر صعوبة. لقد كان رجلاً إغريقياً وسيماً لا يمكنها تحويل نظرها عنه.

كانت بذلته الصيفية رائعة التفصيل أما قميصه الحريري الأبيض المفتوح عند العنق فقد أبرز بشرته الزيتونية اللون. اعترتها حاجة ماسة لاحتضانه كما فعلت في الطائرة عندما ضمته إليها.

ـ لمَ لم تخبرني بقدومك فيما كنا نتحدث على الهاتف؟

لم تكن تلك الطريقة التي يفترض أن يسير عليها هذا النهار ولكنها شعرت بالخوف لرؤيته ولم تعد تقوى على الاحتمال.

فتح لها الباب شارحاً: «لقد كان قراراً في اللحظة الأخيرة وهو أفضل من العمل في المكتب بمفردي. ظننت أنه قد يكون ممتعاً موافاتك ويمكننا اختبار نظام المواصلات الجوية معاً؟».

حارت الكس في ما تفكر فلقد مازحها سابقاً ولكن ليس إلى هذا الحد.

حوّلت عينيها وانسلت في المقعد الأمامي. وبعدما أغلق الباب واستدار ليستقر في مقعد السائق، سألته: «هل كان عليك السفر إلى أي مكان مباشرة بعد الحادث؟».

ـ هل أتبين نوية سخط من سكرتيرتي؟ أعدك بألاّ أزعجك أثناء قيامنا بجولتنا الاستطلاعية.

قالت بصوت هادىء: «لم يكن هذا سبب سؤالي، أعي أنني أفتقر إلى خبرتك في اللغة وأنك قلق من عدم تمكني من القيام بذلك لوحدي ولكنني آمل فقط من ألا تعاني من تشنجات».

ـ إذا كنت قلقة، فسيكون عليك أن ترعيني خلال النهار. سأشعر بتحسّن.

ـ هذا مطمئن خصوصاً عندما تكون على وشك افتتاح المهرجان.

لم يرد على تعليقها بل قاد السيارة بالخبرة نفسها التي يقوم بها بأعماله الأخرى. وما هي إلا دقائق قليلة حتى غادرا المطار متوجهين نحو «سوفلي» التي تبعد وفقاً لخريطتها نحو ٦٥ كيلومتراً.

رمقته بسرعة إذ ما زال صعباً عليها أن تصدّق أنه قطع كل تلك المسافة فيما لديه أمور أخرى يهتم بها في المكتب. باغتها تنظر إليه فأدارت رأسها بسرعة: «لِمَ تكلفت عناء إحضار حقيبتك الكسندرا؟».

مجرد سماعه يقول اسمها بلكنة خفيفة بعث تياراً من اللذة المحرمة

في أوصالها.

ـ لن أحظى بالوقت الكافي لزيارة كل الأماكن والعودة إلى تيسالونيكا في يوم واحد لذا حجزت غرفة في سوفلي لهذه الليلة.

ـ في أي فندق؟

ـ إلياس.

ـ يدهشني توفر غرفة لديهم نظراً لتدفق السوّاح استعداداً للحدث الكبير.

ـ لا أعتقد أن لديهم واحدة ولكن بمجرد ذكر اسمك، زالت المشكلة.

إثر ملاحظتها، أخرج هاتفه من جيب سترته واجرى اتصالاً وكان من المستحيل عليها فهم لغته عدا كلمتي أهلاً ووداعاً. انتابها الفضول لمعرفة سبب الاتصال وانتظرت شرحه بعد إقفال السماعة ولكنه لم يقل شيئاً. في النهاية، لم تعد تستطيع الاحتمال أكثر فسألت: «هل كل شيء على ما يرام؟؟».

وجاءت إجابته غامضة تماماً: «إنها كذلك الآن».

كانت تكره امتناعه عن شرح أعماله وخصوصاً في هذه الحالة لأنها كانت تخشى أن يعنيها الأمر.

حاولت درس الخريطة لإبعاد ذهنها عنه. فلمس بإصبعه بقعة ما قائلاً: «أترين تلك المساحة الصغيرة خارج سوفلي؟».

أخذت نفساً مضطرباً لقربه منها: «نعم».

ـ تدعى داديا. سنبيت هناك الليلة.

عضت على شفتها: «هل نسيت العشاء الحكومي في قصر دودونا هذا المساء؟. لقد أرسلت موافقتك منذ شهر».

ـ في طريقي إلى هنا، أخبرتهم أنني أحتاج إلى أربع وعشرين ساعة إضافية لأشفى من حادثي. سينوب ابن عمي «ڤازو» عني.

أدارت الكس رأسها لتنظر عبر النافذة فلا يهم أي عضو من أسرة بانداكيس اللامعة يرسلون.

سيخيب أمل الرسميين لأنهم يريدون ديمتريوس شخصاً ولكنه سيكون معها عوضاً عن ذلك.

إذا لم تساوره الشكوك حول قدرتها على التجوّل في البلاد من دون مساعدة، فالسبب الآخر الذي يمكن أن تتصوّره من خلال لظهوره على هذا الشكل هو حاجته إلى عذر مقنع ليضع مسافة بينه وبين ابن أخيه.

ربما حصلت مشاحنة أخرى مع ليون هذا الصباح فيما لم يتماثل ديمتريوس للشفاء بعد للتعامل مع الوضع، فأنانكي بانداكيس لم تتفوّه بأكثر من كلمتين على الفطور.

ودّت الكس أن تطلب من المرأة الأخرى إبلاغ ليون مدى أسفها لإهانته عبر ملاحظاتها المستهترة، إلا أن التوتر العدائي الذي انبعث من والدته جعل الحوار معها مستحيلاً. وفور وصول التاكسي، سعدت الكس كثيراً بالتسلل من الفيلا.

ـ ماذا ستفعل بشأن الفندق؟

ـ لا تقلقي، لقد ألغيت حجزك.

ـ سيسعد سائح ما بذلك.

ـ ولكن، ليس أنتِ.

كان يلعب دور المحقق مجدداً. متى أصبح كذلك؟ لم يكن هناك ما يردعه.

ـ أنا راضية تماماً بقضاء الليل في أي مكان وأنت تعلم ذلك. هل ثمة ما يميز داديا؟

ـ إنها تشتهر بغابتها ولقد اكتشفت في الصبا كل سنتمتر فيها مع شقيقي.

لم تستطع منع نفسها من سؤاله: «هل هو مكانك المفضل؟».

أومأ: «لقد عدت إليها مرات عدة لكنني لم أتسلق قمة جبل جبرينا منذ وفاة أخي ليونيدس».

لقد أخبر السيدة لانداو عن وفاة أخيه لكنها المرة الأولى التي يذكر فيها الأمر لألكس. تأثرت بنبرته فضمت يديها: «ستراها بعينين مختلفتين هذه المرة».

ـ هذا صحيح، لا يمكننا العودة وتوقع أن تكون الأمور متشابهة. ولكن التعرّف بك وبحبّك للحياة، سيجعلني أتمتع برؤية رد فعلك. أخبريني الآن إذا لم تحضري ثياباً مناسبة، فهناك مخزن في القرية التي سنمر بها، حيث يمكننا شراء ما تحتاجين إليه.

وزحف الخوف إلى قلب الكس.

ـ أنا... لم أحضر معي ثياباً مريحة إلى اليونان.

ـ ما من مشكلة.

وتصبب العرق من جبينها: «لِمَ لا توصلني إلى سوفلي لإنجاز عملي؟ ستكون حراً في زيارة مكانك القديم. يمكننا أن نلتقي في معمل الحرير صباحاً لرحلة العودة».

ـ هل نسيت أن غرفة الفندق قد ولت؟

تململت في مقعدها: «سأبحث عن شيء آخر».

ـ إنها الظهيرة ولقد تأخر الوقت على القيام بترتيبات أخرى.

ـ هل الأرض وعرة في الغابة؟

ـ أفترض بأن ذلك يعتمد على تحديدك لعبارة وعرة.

ـ هل أستطيع استكشافها بهذا الزيّ وبحذاء الرياضة أم أنك تتكلم عن تسلّق جبال؟

وصدرت من حنجرته ضحكة عميقة: «أنا لا أطلب منك تسلُّق جبل ما».

ـ هذا جيّد.

وتمكنت من تنفُّس الصعداء: «لقد تذكّرت صور تلك الجوائز والميداليات الموضوعة في خزانتك. وكدت أصاب بنوبة قلبية».

استمرّ في الضحك: «إذاً، هذا ما يفسر سبب تأخرك في إخراج الكيس».

وتوهج خدّاها.

ـ أقرّ بأنني فضولية قليلاً.

ـ أفضل أن أقول إن عقلك يتساءل وهذا ما يجعلك سكرتيرة غير قابلة للعزل. وأنا مدين لك الكسندرا.

عندما ذكر اسمها، بدا لها جميلاً فهمست بحزن: «شكراً».

وصرخ صوت في أعماقها باحتجاج: هل يستحق الأمر أن تكوني الوصيفة وليس العروس؟.

ـ سيتسنى لنا الوقت الكافي غداً لتفقد المعرض. أما اليوم فأود أن أكافئك على كل العمل الشاق بعرض كنز وطني أمامك. ما رأيك بذلك؟

ـ يبدو جميلاً.

وأضافت سراً: آه ديمتريوس، لو أنك تعلم!

***

كان ينبغي عليه أن يشعر بالذنب لأنه عدّل مخططاتها لاقتناعه بأنها تنوي قضاء الليل مع صديقها الأميركي. فلتساعده السماء لأنه شعر بالراحة لأنهما سينعزلان بعيداً عن الحشد.

وبينما كانا في الطريق، لم يسمع رنين هاتفها الخلوي كما لم تستعمله هي، وبدا متفاجئاً لأنها لم تشأ التوقف عند مخزن محلي أو حتى التذرع بحجة ما للاتصال بمايكل.

كان بإمكانها طبعاً أن تخطط لموافاته لاحقاً خلال النهار. ولكن لعلها تود لقاء صديقها اليوناني من دون علم مايكل. وعبس ديمتريوس للأفكار التي كانت تتضارب في رأسه: هل يمكن لياني اجتياز هذه المسافة من

أثينا؟ لِمَ لا يستمتع بخلوة معها قبل أن تعود إلى تيسالونيكا حيث ينتظرها عشيقها الآخر في الفندق؟.

هل استسلم الرجلان لمجرد أن ديمتريوس طلبها؟ وفكر في الليالي التي كانا يقضيانها ساهرين حتى وقت متأخر في مكتبه وفي الاجتماعات المبكرة.

تساءل عن شعور مايكل بعد أن اضطر لإحضار الزي إلى اليونان عبر الطائرة. هل غضب لأنها مكثت في الفيلا بدلاً من الفندق؟ أم أنه شديد الثقة بها، فلا يساوره القلق مما يجري بينها وبين رب عملها. أما ديمتريوس فمجرد التفكير بأنها مع أيّ شخص سواه سبب له تجهماً. كان شعوره عارماً فتطلّب الأمر دقيقة ليعرّف ماهيته.

ـ ألم يكن ينبغي علينا سلوك ذلك المنعطف للوصول إلى داديا؟

وبدا له أنّ صوتها جاء من بعيد فهمس وهو لا يزال تحت تأثير نوبة غيرة لم يعهدها من قبل: «سنصل إلى آخر في دقيقة».

واسترجع كلمات أخيه: ديمي، أصغ إلي فأنت لم تناهز الثانية عشرة ولست كبيراً بما يكفي لتخالجك مشاعر الرجال. عندما يحين ذلك، سيتفاعل جسدك عندما تشاهد امرأة جميلة. ستتمنى احتضانها فاللذة التي تستطيع المرأة إثارتها تستحق أن نموت من أجلها.

جاهد ديمتريوس للسيطرة على تسارع أنفاسه المتسارعة فالأمسية التي لامست فيها أصابعها السحرية جبينه حملت له لذة تستحق الموت من أجلها، لذا فالتفكير بتلك الأصابع...

يا رب! إنه يفقد تماسكه حين يتعلق الأمر بها ويجهل ما العمل في مثل هذا الوضع.

ذكّرته الكس: «هاتفك الخلوي يرنّ».

وجد صعوبة في التحدّث الآن فناولها إياه قائلاً: «أخبري المتصل أنني سأعاود الاتصال به».

ـ إنه من الفيلا. ماذا لو كان ابن أخيك؟

السؤال لفت انتباهه إلى امتلاء شفتيها المغريتين.

ـ هل أدعه يرن؟

وفرك أسفل عنقه: «إذا كان ليون، فسأكلمه».

فيما كان يصغي، اتضح أن المتصل شخص آخر فالمحادثة تمت بسرعة فائقة. أدرك أنّ آنانكي هي المتصلة فغضبها من ليون أنساها لباقتها في التصرف.

بعدما أقفلت سكرتيرته الهاتف، قالت: «كانت زوجة أخيك. وهي تقول لك إن ابنها لم يعد طالباً في الجامعة. لقد غادر الفيلا للتو مشيراً إلى أنه لن يحضر العشاء العائلي مساء غد».

لم يفاجئه ذلك، فهذه ردة فعله خرقاء لمقاصصة ديمتريوس على إطلاعه الكسندرا على مشروعه.

ـ ماذا قالت بعد؟

ـ هذا كل شيء ولكنها بدت... منكوبة.

وأدارت رأسها باتجاهه: «لديّ انطباع بأنها تلومني على رحيله غاضباً».

عدّل من سرعة المحرّك لكي تتمكن السيارة من الصعود تدريجياً إلى النزل.

ـ زوجة أخي تحلم بأن يتربع ابنها على عرش مؤسسة بانداكيس، ولكنها تتناسى أن ليون قادر على الحلم على طريقته الخاصة. إنه يعتقد أنه يريد أن يصبح راهباً في جبل آتوس. وهي تخشى خسارته.

واهتز صوتها من الألم: «يا الله، أنا حقاً آسفة».

ـ لا تنهاري الآن الكسندرا فهروبه لمجرد تعبيرك عن رأيك بعفوية يدل على صبيانيته وقلة نضوجه.

هزت رأسها: «هذا ليس صحيحاً. ولا بد أنه يعتقد أنك أطلعتني على

حلمه، وأنا مجرد سكرتيرة. لا بد أنه يظن أنني كنت أحاول التأثير عليه بدلاً منك. لو كنت مكانه، لكنت شعرت بأن الثقة قد تحطمت أيضاً».

تنحنح ديمتريوس ليس فقط بسبب تفهّمها للمشكلة وحساسيتها بل بسبب ذكائها في محاولة إفهامه مدى شعورها بالأسى حيال ذلك.

صرخت: «إنه متعلق بك. رأيت ذلك في عينيه وفي تعبيره لحظة صعد على متن الطائرة ووجدك تتألم ثم لاحقاً في الفيلا، إلى أن أفسدت كل شيء. لقد كان متحمساً لتجربة الزي أمامك».

ـ أحبه كثيراً وأقدّر كلامك ولكنني لست أعمى وأرى أنه يزال يافعاً.

نبهته: «لا يهم العمر عندما لا تكون معتاداً على مشاطرة شخص تحبّه مع غريب. لا ألوم آنانكي على اضطرابها ولو أمكنني العثور على ليون لأخبرته أنّ لا ذنب لك في ذلك».

ـ أقدر دفاعك عني الكسندرا ولكن إذا لم يستطع ابن أخي أن يرى أي خطأ يرتكبه فهو ليس مستعداً بعد لإجراء تغييرات في حياته.

ـ أظنه يخاف من ألا يضاهيك أبداً ولهذا يرى الرهبنة كملجأ حيث لا داعي للقيام بأيّ محاولة.

أعجب بقدرتها على الغوص في عمق المشكلة. كان عقلها متوقداً بقدر كافة حواسها.

ـ كان عمي سبيروس يستغل هيبته على الجميع ليتحكم بهم، حتى أن والدي كان يخضع له مخافة منه. عندما غدوت الوصي على ليون صممت على ألاّ أفعل ذلك أبداً.

ـ ربما نجحت لدرجة حملته على الاعتقاد بأنك لا تظنه كفؤاً ليتبع خطاك. لعله ينتظر أن توجّهه الاتجاه الصحيح. إذا كانت تلك حالته، فلا بد أن ملاحظاتي جاءت كإعصار.

ـ ماذا تعنين؟

كان فهمها للأمور مذهلاً فوجد نفسه قلقاً لسماع ما ستقوله.

ـ هل قلت له بصراحة إنك لا ترغب في أن يصبح راهباً؟

ـ كلا.

ـ ولمَ لا؟

ـ قد يكون لديه دعوة حقيقية.

ـ ولكن، ألا ترى؟

وقطعت كلامها فأدار رأسه نحوها: «أكملي».

ـ لقد تكلّمت كثيراً وهذا ليس من شأني.

ـ بعد ما حصل في غرفتي، أنت متورطة بشدة. أنهي ما كنت تقولينه.

لقد بدت أكثر عقلانية من أي شخص آخر عرفه. فمع كل كلمة تخرج من فمها، كان يجد نفسه مأخوذاً بها أكثر.

ـ ربما فهم ملاحظاتي على أنك تعتقده أنه لن ينجح كراهب ولا بد أنه شعر بالإذلال.

يا رب السماوات؟ هل يُعقل أنها أصابت الحقيقة؟

لم يستطع أن يعد المرات التي توسلت إليه فيها آنانكي لكي يأخذ ليون معه ولكنه أوصد عقله وقلبه عن محاولاتها كل تلك السنوات. منذ اللحظة التي قال له فيها ليونيدس إنه علق في زواج بلا حب، كره ديمتريوس آنانكي. إذا كانت الكسندرا محقة ولو جزئياً، فقد اقترف خطأ جسيماً نحو ابن أخيه الذي يتألم دون شك. وبدا له من المنطقي أن يحاول تضميد جراحه بعيداً.

جاهد ديمتريوس ليسيطر المشاعره التي اعتملت في داخله. إن الكسندرا تعمل لديه منذ اربع سنوات ولكنه بدأ يدرك الآن أي كنز حقيقية هي.

من دون إضاعة المزيد من الوقت، تناول الهاتف للاتصال بليون. لكنه وجد الجهاز مطفأ، فترك له رسالة.

«ليون، أرجو أن تتلقى رسالتي في الوقت المناسب. ظننت أن وضعي

تحسّن بعد الحادث وسأتمكن في المشاركة في حفل افتتاح المعرض. لكنني استقليت الهليكوبتر لتفقد معارض الحرير واكتشفت أنني ما زلت عاجزاً عن تفحص كل شيء بدقة. أحتاج إليك في المنزل، بعد ظهر غد. وأحمد الله على أنك تلعب البولو وتركب الجواد بمهارة كما يمكن أن نكون ممتنين لأنك ورثت طول وبنية والدك. فأنت الشخص الآخر الوحيد في العائلة الذي يستطيع ارتداء ذلك الزي الذي تكبدت الآنسة هاملتون الكثير من العناء لإعداده. ستترأس العرض مع فرقة من الجنود على صهوة جيادهم وهذا يعني أنك ستلقي خطاباً أمام الرسميين وانت على صهوة الفرس. أنت الفرد الوحيد في الأسرة الذي أثق به لمواجهة الإعلاميين وعدساتهم. بعد الأحاديث العديدة التي خضناها، تعلم مدى أهمية هذا المهرجان ولدي ثقة تامة بأنك ستجعل أهل اليونان فخورين بك وخصوصاً والدتك التي ربت ابناً جيداً».

وختم رسالته بالقول: «إذا سمعت الرسالة قبل وصولي بعد ظهر غد إلى المنزل فاتصل بي وستتكلم».

أقفل السماعة، مترقباً الإجابة التي سيحصل عليها من ابن أخيه. فلقد اتخذ على الأقل، الخطوة الأولى لإصلاح وضع تسبب به منذ سنين عن غير عمد.

لسوء الحظ، قد يكون الوقت متأخراً لذلك إذا ما أقفل ليون خطه إلى الأبد. وحده الوقت يحمل الإجابة وبفضل المرأة الجالسة إلى جواره حصل ديمتريوس على فرصة ثانية لإصلاح الأمور، وأحسّ بحاجة إلى الاختلاء بها. وهل من بقعة أفضل من الغابة البدائية الممتدة أمامهما!

***

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

٦ ـ زفاف . . . لغيرها

لم تكن الكس تعلم ما الذي قاله ديمتريوس لابن أخيه إلا أن التعبير الذين علا وجهه كشف بحراً من الحب والاهتمام. بعدما أعاد الهاتف إلى مكانه في جيبه، قال:

ـ إذا سمع ليون رسالتي، فسيتأثر بعجزي عن قيادة الفيلق. أخبرته أنه الوحيد من آل بانداكيس الذي أثق به لمساندتي خلال حفل الافتتاح.

نظرت إلى الخارج من النافذة لئلا يتبين محاولتها كبح دموعها فثمة طرق عديدة لحب رجل. ففي السادسة عشرة من عمرها، كان فارسها الوسيم الذي أتى لإنقاذها. عندما بدأت تعمل في شركته، تعلّمت أن تحبّه للكرم الذي يغدقه على الموظفين. عندما باتت سكرتيرته الخاصة، وقعت في حبه بأدق تفاصيله، عيوبه وحسناته، كما أعجبت بميزته في الاعتماد على نفسه وهي ميزة نادرة بالنسبة لرجل يتمتع بنفوذه. أما الآن، فقلبها ينزف لفرط انفعالها لأنه سعى لايجاد طريقة ما للوصول إلى ابن أخيه المضطرب.

كانت اليكس تحبه بقوة تحتاج إلى ترجمة سريعة وإلاّ ستُجنّ خلال محاولتها كبت مشاعرها. تابعت التحديق إلى الخارج فيما كانت السيارة تعبر قرية صغيرة صعوداً إلى مساحة مشجّرة. مرا بكنيسة بيضاء صغيرة مخفية بين أشجار الصنوبر القاتمة، وقد وقفت أمامها سيارات وعدد من

الناس باللباس المحلي. يبدو أنه احتفال ديني، وكانت على وشك سؤاله عن ذلك عندما أعلن وصولهما إلى النزل. أدارت الكس رأسها إلى الناحية الأخرى من الطريق لترى مجمعاً من الأبنية البيضاء بين الأشجار.

ـ بعد أن نغتسل ونبدّل ملابسنا، سنسير حتى رأس الجبل. ومن هناك، ستكونين قادرة على رؤية الغابة بأسرها.

في مثل هذا المكان البدائي، سيغدو الأمر أكثر حميمية من مكوثها في الفيلا.

ـ كم سيستغرق ذلك من وقت؟

ـ باقي النهار.

اتجه نحو مدخل أحد الأبنية، وبعدما أطفأ المحرّك، قال:

ـ هل هناك سبب لإستعجالك؟

وتلوّن صوته بنبرة غريبة. عندما يبدو على هذا الحال، هذا يعني أنه يخطط لشيء ما. ولكن ماذا؟؟

ـ أبداً. كنت أتساءل فقط ما إذا كان من المبكر جداً بالنسبة إليك إنهاك قواك إلى هذا الحد.

كان تفسيرها كذبة بالطبع فأذا ما أمضت المزيد من الوقت معه ستستمر في الوقوع في شباكه أكثر فأكثر. من جهة أخرى، كانت قلقة لأنه لم يمتثل للشفاء كلياً بعد.

ـ لا شيء يريحني أكثر من الخروج إلى الطبيعة.

نزع نظاراته الشمسية كاشفاً عن عينيه السوداوين وحدّق إليها للمرة الأولى في ذلك اليوم.

ـ نحتاج كلانا إلى استراحة قبل بدء المهرجان.

قال ذلك وترجل من السيارة واستدار حولها لمساعدتها. عندما ولجا صالة الاستقبال، هرع مدير النزل لإلقاء التحية على ديمتريوس باليونانية، وبدا واضحاً أنه يعرفه جيداً.

وبعد أن تحدّثوا قليلاً، أحضرت لهما زوجة الرجل الشاي والبسكويت. كانت الوجبة لذيذة وحين انتهيا، طلبت من الكس اللحاق بها إلى أحد الأكواخ المجاورة.

اتضح أنها غرفة جميلة مُؤثثة بثلاثة أسرّة وقد ألحقت بها حمام.

دخل ديمتريوس حاملاً حقيبتها، فأعطى المرأة بقشيشاً ثم أغلق الباب وراءها. استدار نحو الكس ورمقها بنظرته السوداء: «لقد حجزت غرفتين قبل مغادرة تيسالونيكا هذا الصباح لكن المسؤول أعلمني أنه لم يتبقَّ سوى غرفة واحدة. يبدو أن عرس حفيدته اليوم وهما ينتظران أفراداً آخرين من العائلة».

صرخت مبتهجة: «في تلك الكنيسة الصغيرة التي مررنا بها؟».

أومأ: «ستقام حفلة الزفاف هنا في المساء لذا فالنزل مغلق أمام الناس».

ابتسمت وقالت: «ولكن هناك دائماً غرفة لك».

ـ لأنني عضو في المجلس الاقتصادي للمحميّات المميّزة في اليونان لذا يتم دائماً تأمين غرفة لأيّ عضو يتواجد في الأرجاء.

كان عضواً في مجالس عدة. لكن بما أنها مساعدته في نيويورك لم تسمع بهذا من قبل. ويبدو أنها ستعلم شيئاً جديداً عنه في كل يوم تمضيه معه.

ـ وما المميز في هذه؟

لمعت عيناه: «إذا حالفنا الحظ، فستكتشفين ذلك بنفسك. لا تقلقي بشأن الليلة. لقد أحضرت كيساً للنوم. بعد تناولنا العشاء، أنوي النوم في الغابة».

فور مغادرته الغرفة، جمدت الكس في مكانها وقد انتابها ألم جديد. في هذه الظروف الاستثنائية، قد يحاول أي رجل استغلال الوضع لكن ليس ديمتريوس. ليلة الحادث تمنى عليها البقاء قربه لمنع محاولات

إزعاجه، لكن بعد أن تعافى، لم يخطر له أن يسألها مشاطرته الغرفة.

كان عليها أن تقرّ بأنها هي المخطئة. لقد نجحت الكس في دورها لدرجة أن ديمتريوس قد يراها رجلاً كسائر الرجال إذ يمكن أن تبدو بنظره كستافروس.

إنه يهتم بالطبع لأمر سكرتيره اليوناني. وأيقنت أن ديمتريوس يهتم لأمرها أيضاً فقد أصبحا صديقين بدليل رغبته في أن يريها المكان المفضل لديه... ولكنهما لن يصبحا حبيبين.

ودّت هذا المساء، أن ترتمي بين ذراعيه وتتقرّب منه حتى لا يدعها تبتعد عنه أبداً. ولكن إذا ما تجرّأت على نزع تنكرُّها الآن بغية حمله على رؤيتها من زاوية مختلفة فقد ينهي هذا صداقتهما. سيكرهها لانتحالها شخصية أخرى للحصول على وظيفة في مؤسسته. سينفجر كل شيء في وجهها. سينفجر على أيّ حال بعد تقديم استقالتها. فكرة عدم رؤيته ثانية كانت بالنسبة لها كابوساً، لم تستطع تصوّر حياتها من دونه مع أن يوم الرحيل بات وشيكاً. لم يعد بإمكانها فعل شيء الآن إلا إكمال هذه اللعبة المرّة حتى النهاية.

تأوهت بصوت خافت وهرعت إلى الحمام مع حقيبتها. وإثر اغتسالها أخرجت من الكيس البلاستيكي حذاءها الرياضي وما إن ارتدت ثيابها المحتشمة، حتى انتعلت حذاءها الأرزق والأبيض اللون الذي لم يتناسب مع بذتها.

كان لباسها فضفاضاً وقميصها يصل حتى عنقها. خلال النزهة، فكرت بأنها ستتعرق في سترتها السميكة لكن سيكون هذا جزائها. عندما دخلت أخيراً الغرفة، خطف مشهد جسده القوي في القميص الأبيض أنفاسها. وفي الوقت نفسه، جالت عيناه عليها باهتمام أدنى كما لو أنه ينظر إلى طبق من البيض المقلي ترك جانباً.

كم بدت رهيبة! آلمها أن تستمر في ارتداء تلك الثياب القبيحة من

دون أن تكون قادرة على إطلاق شعرها أو أن تكون على سجيتها. ودت ولو لمرة أن ترى هذين الحاجبين يستديران عندما تمر في غرفة ما.

علق بزته في الخزانة ثم تناول حقيبة الظهر.

سألته: «ماذا يوجد في داخلها؟ تبدو ثقيلة».

ـ لا، أبداً. بعض الطعام والمياه علاوة على أغراض أخرى.

وأقفل الباب وراءهما...

تبعته لعشرين دقيقة في ممر يقودهما إلى سفح التلال المزروعة بأشجار الصنوبر والسنديان.

ـ هل بلغنا الغابة المقدسة؟

توقف ديمتريوس لينظر إلى الوراء مداعباً إياها بابتسامة زادت من تسارع نبضاتها.

سلّمها زجاجة من المياه وحذّرها: «لا تسرفي في الشرب دفعة واحدة».

بعد لحظة، أعادتها إليه وأكملا طريقهما. تابع السير بتمهل لكي تستطيع الكس اللحاق به. ومع أن المنظر كان جميلاً إلا أنها وجدت نفسها تنظر إلى رجليه اللتين بدتا آلتين متينتين من الأوتار. كادت تصطدم به فقد توقف ديمتريوس بعد عشر دقائق مشيراً إلى حيوانات الغرير المختبئة جزئياً تحت الشجيرات النامية. خطت الكس إلى الأمام لتنظر إليها عن كثب وهي تحفر جحراً في الأرض بكل قواها.

ـ آه، أنظر كم تعمل بجد.

ـ إنها تذكرني بك.

تلك المقارنة الساخرة مع الحيوانات المكسوة بالفرو لم تكن إطراءاً بل لاحظت سخريته كنوع من الإقرار بالواقع.

ـ شكراً لك.

خيّل إليها أنها سمعت ضحكة فيما كانا يواصلان عبور الممر. وكلما

ارتفعا صعوداً، كلما بدأت تتنبّه أكثر لحياة الغابة الحافلة.

توقف لشرب المزيد من المياه وعندما وضع الزجاجة جانباً أخرج المنظار. وقبل أن تدرك ما يفعله، علّقه حول عنقها. لامست يداه شعرها وكتفيها فأشعلتا النار في موضعهما. حوّلت نظرها بسرعة مخافة النظر إليه.

ـ نحن نقترب من القمة. ابقي نظرك مرفوعاً إلى السماء.

أومأت عاجزة عن الكلام فجسمه يكاد يلامسها ويرسل فيها دفء الرجولة. وما إن استدار وهمّ بمتابعة السير مجدداً، حتى تمكنت من إطلاق زفير كانت تمسكه. وما هي إلاّ خمس دقائق حتى رأت نقاطاً سوداء عدة في السماء.

نزعت نظاراتها ورفعت المنظار إلى عينيها وهي غير مستعدة لضخامة المنظر الذي ينتظرها.

قفزت مصدومة لهذا المشهد الغريب: «لا أصدق. تبدو كتماثيل بعثت للحياة! لم يسبق أن رأيت أي شيء يشبهها».

وجاء صوت رفيقها عميقاً: «أنت تنظرين إلى زوج من طيور الغريفون وهي من فصيلة النسور الخرافية. إنها واحدة من تلك الفصائل المهددة بالانقراض».

ـ لا عجب في أنك تحب المجيء إلى هنا! اشعر بانني عدت في الزمن. اتمنى لو جلبت معي دفتر الرسم.

ـ انتظري حتى تري النسر الإمبراطوري.

ـ هل هو المحفور على طائرتك؟

قالت هذا وهي تنظر من خلال المنظار.

بدا سعيداً وهو يجيب: «لاحظت ذلك».

فقالت سراً: ألاحظ كل ما يتعلق بك.

ولكنها أردفت: «حسناً، لم يبدُ نسراً اميركياً لذا تصوّرت أنه يحمل

دلالة مميزة».

ـ لا يفوتك الكثير.

فخطر لها: ليس إذا كان الأمر يتعلق بك.

أضاف ديمتريوس: «عندما أحضرني ليونيدس إلى هنا، وجدنا نسراً امبراطورياً مسمَّماً. أعلمنا السلطات ونُقل إلى مستشفى العصافير. وبعد شفائه، سُمح لنا بالنظر إليه في المرصد».

ابتلعت ريقها بصعوبة: «لا بد أن ذلك أسعدكما».

ـ كنا في غاية السعادة. شعر أخي بأهمية الدفاع عن هذه الطيور.

ـ لذا توليت القضية. يا لها من طريقة مثالية لتكريم ذكراه!

أعادت إليه المنظار ووضعت نظاراتها: «هل يعلم ابن أخيك بتلك القصة؟».

حدّق إليها بعينين ضيقتين: «لا، إذ وجدت الحديث في هذا الموضوع مؤلماً. إنها ناحية أخرى أنوي إصلاحها إذا لم يفت الأوان بعد».

ـ لا أتصوّر بأن الوقت تأخّر ليسمع ولد شيئاً واقعياً ورائعاً عن أبيه.

رأت حنجرته تتحرّك قبل أن يكملا الرحلة جنباً إلى جنب.

ـ كانت طفولتك سعيدة، أليس كذلك الكسندرا؟

ـ أهلي أناس محبون وكانت حياتي رائعة أنا وشقيقاتي.

ـ ألهذا السبب لا تتكلمين عنهما في حضوري؟ ألأنك أيقنت أن حياتي كانت شبه مأساوية؟

كلا، لكنه الخوف من ازدياد حبها له لا سيّما وأنه حب من طرف واحد.

بدأت تشعر بالعصبية لنظرته المركزة عليها. لا سيّما وأن حديثهما وصل إلى الأمور الشخصية.

ـ أعتقد أنني كنت منهمكة بأداء مهام السكرتيرة لذا لم انتبه لأي شيء

آخر. أين المرصد؟

ـ إنه في ممر آخر وسيكون مغلقاً اليوم. ولكن لدينا منظارنا الخاص ويمكننا التوقف هناك خلال نزولنا لنراقب الزواحف.

كانت الساعات الثلاث التالية بهجة حقيقية لألكس. أكلا قرب أنقاض قصر بيزنطي على رأس التلة ثم نزلا عائدين. وعندما أوشكا على بلوغ سفح الجبل، تناهى إليها صوت موسيقى فتوقفت عن المشي لتصغي.

ـ إنها حفلة الزفاف. أترين تلك البقعة الخضراء الصغيرة بين الاشجار؟ لا بد أنهم وصلوا إلى كنيسة القرية.

حبست أنفاسها لأنها شاهدة على فرحة عروس متألقة بثوب زفافها وقد كللت شعرها بالزهور. وكانت ترقص مع عريسها الأسمر، فيما أصدقاؤهما وأقرباؤهما يصفقون ويهتفون على وقع الموسيقى. انهمرت الدموع من عيني الكس: «لم أر قط شيئاً أجمل».

كان المشهد مؤلماً جداً لأنها ودّت لو تكون تلك العروس المبتسمة لعريسها، ودت لو يكون هذا الزفاف لها، وأن يكون ديمتريوس زوجها، ليبقيا معاً إلى الأبد.

ـ أوافق أن لأعراس القرية سحرها. تعالي وقفي هنا حيث يمكنك أن تري بشكل أفضل.

كان يحتاج للمسها فأمسكها من كتفيها وحرّكها إلى حيث يمكنهما البقاء مختبئين خلف الأعشاب للمراقبة. لكنه لم يجد سبيلاً إلى التركيز على سهرة العرس عندما اشتم رائحة الإجاص اللذيذة في شعرها ما جعله يتوق إلى الانحناء نحو شعرها ودفن وجهه فيه كما حصل سابقاً في الطائرة. وصدم لاكتشافه أنها ترتجف رغم الحرارة الخانقة. كان يدرك أنها لا تخشاه ولكن هل تحس بشيء ما نحوه؟؟

إذا كان ذلك صحيحاً، فإن جهدها لإخفائه جعلها مختلفة عن سائر

النساء اللواتي كن يتحرّشن به أثناء مراهقته. كانت من النوع النادر الذي لم يتوقع أبداً مصادفته.

هذا الصباح، استيقظ عاقداً العزم على إبقاء مسافة بينهما. لكن ها هو واقع تحت تأثير رغبته في معانقتها. كان عليه أن يشعر بالذنب لقضاء الوقت معها من دون التفكير بالعمل. لهذا السبب، لم يكن عليه أن يصرّ على مكوثها في الفيلا، ولكن الوقت تأخر لذلك الآن. لقد فات أوان الحفاظ على عهد ألا تثير أي امرأة رغباته قبل الزواج. كان يرغب في الكسندرا كما يرغب الرجل في المرأة. لقد وقع في حبها... ابتعدت الكسندرا عنه وهمت بنزول المنحدر قائلة: «آمل في ألا تمانع لو أسرعنا في العودة إلى النزل الآن».

تبعها ديمتريوس بخطى بطيئة متسائلاً عما إذا كان الذنب لخيانتها مايكل أو باني دفعها للابتعاد عنه. صمّم على اكتشاف ذلك فكسر الصمت بينهما قائلاً: «أنت تقرأين ثانية أفكاري فليلة مبكرة هي بالتحديد ما أحتاجه أيضاً».

أبطأت قبل أن ترمقه بنظرة: «هل تشعر بدوار؟».

ـ لا، أنا متعب فقط.

ـ لا أصدقك ولا أدري لماذا؟ حمداً لله أن النزل ليس بعيداً فتلك الحقيبة ثقيلة حتماً عليك.

تريث ديمتريوس ليسمعها تقول إنه يستطيع الاتكاء عليها ولكن العرض لم يأت. لأنها لم تكن واثقة من نفسها إذا ما اقترب منها مجدداً؟؟

وفي سعيه لمعرفة الجواب على هذا السؤال الحيوي خطرت له فكرة عن كيفية اكتشاف الحقيقة. لقد شعر بالحماس للأمسية التي تنتظرهما.

غدت أشجار الصنوبر أشباحاً طويلة في الممر وخفق قلبه لمعرفة أن الليل قد زحف إليهما من دون أن يعي ذلك. سيكونان وحيدين الليلة. قال فور دخولهما الغرفة:

ـ هل تمانعين في ما لو تمدّدت لبضع دقائق؟

نظرت إليه بحذر: «هل تشعر بالغثيان؟ قد يفيدك شرب الكولا. يمكنني طلب واحدة من النزل».

أحبّ أن تظهر نحوه هذا النوع من الاهتمام وقد أذهله مدى حبه لها. هز رأسه قائلاً: «أنا نعِس، هذا كل شيء. إذا أردت الاغتسال، فتفضلي. قال المسؤول إنهم سيحضرون لنا العشاء إلى غرفتنا. سأتصل بالمكتب الآن».

وضع حقيبته على إحدى الكراسي، وتمدد على أحد السريرين ثم التقط السماعة ليطلب طعامهما. راقبها وهي تتناول حقيبتها وهمست: «سأسرع».

فور سماعه صوت الدوش، اتصل بستافروس ليجري معه حديثاً مقتضباً ثم استمع إلى رسائله الهاتفية لكنه لم يجد رداً من ليون لذا امل أن يسمع شيئاً من ابن أخيه عند الصباح. التفت إلى الراديو الموضوع على الطاولة بين السريرين وأداره على إذاعة تبث موسيقى شعبية وقد انتابه الفضول لمعرفة ذوق الكسندرا في الموسيقى. كانت الستائر مسدلة والأضواء خافتة فلم يعد لديه ما يفعله غير ترقب الكسندرا وعجز عن التفكير في أي شيء آخر أكثر أهمية...

***

أشعرها الحمام بالراحة لكن الكس وقفت أمام المرآة مرعوبة. لقد حلّ المساء وسيخلدان قريباً إلى النوم. لا يمكنها مواجهته وهي مرتدية بدلة، لكن ستحلّ الكارثة إذا ما ظهرت فجأة مرتدية بنطلوناً من الجينز وقميصاً.

عندما حزمت حقائبها لهذه الرحلة، لم يخطر لها أبداً أنها قد تحتاج إلى قميص نوم محتشم فجل ما فكرت فيه هو إحضار عدد من قمصانها القصيرة. أما عباءتها فتصل إلى الركبتين، وهي تبدو شبابية مقارنة مع

الملابس التي ترتديها عادة في المكتب. إذا لم تستعمل الحزام وارتدت واحدة من بلوزاتها البيضاء السميكة تحته، فيمكنها حينئذ إخفاء صورتها الحقيقية.. لم تحضر معها خفاً لكنها حملت معها زوجاً من الجوارب فأخرجتهما فوراً وارتدتهما.

وضعت نظاراتها، ثم غادرت الحمام مع حقيبتها.

ـ آسفة إذا لزمني وقت لـ...

ولكنها لم تنه جملتها لأن الوضع تغير عن لحظة دخولها الحمام. استقرت نظرتها على الطاولة المربعة التي تعلوها الشموع والأزهار. وقف ديمتريوس إلى جانبها وهو يملأ كأسين بالمرطبات. اشتمت رائحة لذيذة فيما الموسيقى اليونانية تنبعث من الراديو.

عندما طلب العشاء، لم تتوقع كل هذا! ولم يعد بوسع قلبها الاحتمال أكثر. استدار ديمتريوس نحوها والتمعت عيناه وقد بدا منتعشاً لذهولها: «دعي حقيبتك ووافيني».

نفذت طلبه وقطعت المسافة على رجلين تحولتا إلى قطعتي جليد. وأمسك لها الكرسي حتى جلست. ما الذي يجري؟؟ جلس قبالتها ورفع كأسه: «هل نشرب نخب المهرجان؟؟».

حاولت عدم النظر إليه خوفاً من أن يرى الحب في عينيها ورفعت الكأس بدورها: «فليكن نجاحه كما تصوّرته تماماً».

ـ آمين.

أخذ ينزع الغطاء عن أطباقهما، ولاحت ابتسامة باهتة على زاويتي فمه.

تناولت قضمة من لحم العجل ووجدته لذيذاً لكن احساسها بالرجل قبالتها قطع شهيتها.

ثمة ما هو مختلف. كان مختلفاً في سلوكه، وكادت تصدّق أنه معجب بها. يا الله! هل ذلك ممكن؟ أم أن مشاعرها نحوه قد نمت لدرجة

باتت ترى فيها ما تود أن تراه؟

ـ إذا لم يطب لك الطعام، يمكنني الذهاب إلى القرية لابتياع الساندويشات والفواكه.

ـ لا، ليست هذه المشكلة. ولكن شكراً على أيّ حال.

وتفحصتها نظرته: «لو أنك نزعت سترتك أثناء المشي لما شعرت بالحرارة».

ـ أنا بخير وأظنني نعسة أكثر مني جائعة.

ـ الكسندرا، لا داعي للإدعاء أمامي.

وتراجع رأسها: «ماذا تقصد؟».

ـ أعني أنك كنت تنوين قضاء أمسيتك مع مايك ولقد شغلت حتى الآن كل وقتك.

أغمضت عينيها فلم يخطر لها أن يفكر بأنها متورطة عاطفياً مع مايكل وإلا لما عرضت عليه المكوث في غرفتها في الفندق.

لقد اتخذت الأمور منحى مختلفاً. كرهت فكرة خداع ديمتريوس أكثر من ذي قبل.

ـ يعلم مايكل بأن عملي يأتي أولاً.

أنهى كأسه قائلاً: «هل هذا ما ستقولينه له؟ بأنه كان عملاً؟».

ـ لو سأل فمن الطبيعي أن أكون صادقة معه.

ـ ألا يغار.

وأسند ظهره إلى الوراء محدّقاً إليها بضيق: «لو كنت صديقتي، لما سمحت لك بقضاء يوم كامل مع رب عملك في الغابات».

لم تستطع الكس منع نفسها من الابتسام رغم الألم الذي كانت تشعر به في الداخل. لم يبدُ سعيداً: «هل ساءتك ملاحظتي؟».

ـ اليوم، لا تعتبر المرأة نفسها ملكاً للرجل. لكني لو كنت صديقة مايكل، لما اخترت قضاء وقتي معك حتى ولو كنت تدفع لي راتبي.

حسناً! لقد أطلعته على الحقيقة. ألح في سؤاله: «وهل يعلم مايكل أنك لست حبيبته؟».

ـ هل قال شيئاً ما لليون عندما ذهب لإحضار الزي فجعله يعتقد أننا أكثر من صديقين؟

وجاء رده ناعماً: «لا، لا أعلم بذلك».

كان ديمتريوس يسعى إلى إجابة فتمنت لو تدرك مقصده إلا إذا كان...

ـ ربما كان أحداً من أصدقاء مايكل، يلقي مزحةً ما.

وعلا حاجبا مضيفها القاتمان: «لم أفهم».

ـ مايكل صديق قديم لي وقد أحضر اثنين من رفاقه إلى اليونان معه، إنهما يعملان في النهار ويؤديان أدواراً مسرحية في الليل. عندما سمعا عن المهرجان تحمسا للمجيء فأخبرتهما أن بإمكانهما المبيت في جناحي.

تمنت أن تكون تلك نهاية أسئلته، لكنه تابع سائلاً: «وماذا عن ياني؟».

كادت تختنق: «لا أفهم».

ـ هل يخطط للمكوث في جناحك أيضاً؟

وضعت الكس الكأس على الطاولة متسائلة متى سينتهي الاستجواب.

ـ أجل، لقد ذهب لزيارة عائلته أولاً ومما فهمته أنه سيحضر معه فتاة لم ألتقها من قبل. لم يصلا بعد إلى تيسالونيكا على حد علمي.

همس: «يبدو كل ذلك حميماً. أتساءل عما سيكون عليه رد فعلك لو طلبت منك أن أقيم هناك أيضاً».

كانت ملاحظة ساخرة ولكن قلبها انتفض لمجرد التفكير بها: «سيرغب الكل في ذلك».

ـ حتى أنت؟

بدا لها رجلاً مهتماً بها. لو أن معجزة تحصل فيتبين لها صحة

حدسها...

ـ يستحق الأمر أن نرى النظرة على وجوههم إذ لن يصدّقوا أن الأسطوري كيري بانداكيس سيتنازل عن عليائه لـ...

وتنبهت لكلامها فقال: «أكملي!».

ـ لا، لا أذكر ما كنت أقول.

ـ ربما تتذكرين ريثما استحم.

***

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

٧ ـ شيء في صدري

بعد أن غادر ديمتريوس الغرفة، رأت أنه من الأفضل أن تتناول العشاء من دون أن يحاول تعذيبها بالأسئلة. وما إن أنهت طعامها، حتى وضعت الأغطية على الأطباق. وفيما كانت تطفىء الشموع، خرج ديمتريوس من الحمام مرتدياً سروالاً وقميصاً أزرق.

لاحظت أن شعره الأسود ما زال رطباً ولكنه لم يأخذ وقته في الحلاقة ولحيته النامية جعلته يبدو أكثر سمرة ووسامة. لم تستطع إلا النظر إليه.

جال بصره عليها: «لا أعلم بشأنك ولكن رؤية العروسين أثارت فيّ الرغبة في الرقص. هلا شرفتني بالرقص قبل أن أدعك بسلام؟».

يرقص؟ معها؟ وهي تبدو في أسوأ حالاتها.

ربما أدرك رب عملها أنها مغرمة به وربما كان يعلم ذلك منذ زمن. وقرر منح سكرتيرته العجوز بعض الامتيازات أثناء تواجدها في اليونان ليترك لها ذكرى تحتفظ بها عند عودتها إلى نيويورك.

وضع ديمتريوس يديه عليها: «هناك ما يفترض بك أن تعرفيه عن الرجال الإغريق، وهو حبهم للرقص. أحضنيني».

سرت موجات لذيذة في جسمها فلعل حلمها بأن تغدو بصمة لا تمحى في حياته، بدأ يتحقق. ارتجفت ساقاها فما كانت تتجرأ على الحلم بأنه يود فعلاً احتضانها.

ـ لا أظن.

ـ إنها المرة الوحيدة التي لا أريدك فيها أن تفكّري الكسندرا، استسلمي للموسيقى فالبازوكي يستحيل تجاهلها.

وتمتمت: «لا أعرف أي رقصة يونانية».

لكنّ تصريحها لم يكن له أي تأثير عليه فقد جذب جسدها المتمرد بين ذراعيه. وهمس قرب أذنها بعد أن رفع نظاراتها عن وجهها ووضعها على السرير: «كل ما عليك فعله هو الاسترخاء».

في السابق، كانت تذوب عملياً لتشعر بصدره العريض أما الآن وفيما جسدها يتناغم مع جسده الصلب فقد ذابت عظامها.

إنها لا تجرؤ على مجاراته أكثر.

ـ أظن أنه من الأفضل أن نتوقف فلقد حظيت بما يكفي من نشاط في يوم واحد.

ـ سأعيش لأرى يوماً آخر.

قرّبها منه أكثر وأدارها بسهولة خبير في الرقص. فتوسلته: «ديمتريوس».

ـ أحب أن تناديني باسمي وأحب التواجد معك. أقري بأنك تستمتعين برفقتي أيضاً.

وشعرت أن صوته العميق يتردد في كل خلية من جسمها المرهف الإحساس.

ـ لو لم يكن الحال كذلك، لما عملت معك طوال تلك السنوات.

ـ يحب الرجل سماع تلك الكلمات من حين لآخر حتى ولو صدرت عن سكرتيرته.

ـ والآن بما أنك حققت أمنيتك، عليّ فعلاً الإصرار على التوقف، فأمامنا نهار حافل غداً.

توقف عن تحريك ساقيه ولكنه تابع احتضانها بقسوة: «شكراً على الرقصة، الكسندرا. كان ذلك تماماً ما أمر به الطبيب».

وبدا أن يديه سقطتا رغماً عنهما: «سأراك في الصباح. تأكدي من إقفال الباب ورائي».

تناول حقيبته فصرخت: «انتظر!».

توقف عند الباب: «نعم؟».

- أين كيس النوم؟

- في صندوق السيارة.

- ماذا لو مرضت خلال الليل؟

حدجها بنظرة آسرة: «لن يحدث ذلك».

- ولكنه قد يحصل.

فبعد رحلتهما، خشيت أن يكون قد أفرط في نشاطه.

- لا أظن أنني سأنام وأنا أعلم أنك في مكان ما في الغابة حيث قد تعاني من دوار ولن يكون بمقدور أحد مساعدتك.

حكّ ذقنه بشرود: «إذا كنت قلقة إلى هذا الحد، فسأنام في السيارة خارج باب الكوخ».

فصرخت: «لا! أنت طويل وتحتاج إلى قضاء ليلة مريحة. إبقَ هنا فهذه ليست المرة الأولى التي نمضي فيها الليل في الغرفة نفسها فبهذه الحالة، إذا تردت حالك، سأكون هنا لمساعدتك».

لم تستطع قراءة شيء من تعابيره.

- إنه كرم منك، إذا كنت واثقة.

- بالطبع.

ومجدداً، اختفت في الحمام.

أطفأ النور وانسل تحت الأغطية فيما كان قلبه ينتفض. عندما ظهرت سكرتيرته الجميلة أخيراً، تبعت نظرته الجائعة طيفها الذي خلد إلى النوم واستدار عمداً بعيداً عنه. وفجأة، رن الهاتف الخلوي فتأوه وتناوله مجيباً باليونانية:

- يا سو.

- عمّاه؟

وغمر ديمتريوس الارتياح: «حمداً لله. أين أنت الآن؟».

- مع نيكوس.

- إنه صديق طيب.

وبعد صمت موجز، تمتم بصوت معذب مؤثّر: «لم يكن ينبغي عليك ترك الفيلا إلى أن تشعر بالتحسّن».

- اكتشفت ذلك في وقت سابق من النهار ولكنني في الفراش الآن لحسن الحظ.

- أين؟

- في النزل على طرف غابة داديا.

- مع الآنسة هاملتون؟

- نعم.

- أخبرتني أمي أنني تسرّعت حين استنتجت أنك أفشيت حديثنا لها. آسف لأنني كنت فظاً في مغادرتي على هذا النحو والتخلي عنك.

- لا داعي لتقديم الاعتذارات. لقد كان سوء فهم منذ البداية.

- ماذا تفعل في داديا؟

- أحمي ذكرى من والدك، كان عليّ إطلاعك عليها منذ سنوات. لكن عندما توفي، غمرني ألم فظيع وانغلقت عاطفياً.

- أخبرني عمي «قازو» أنكما كنتما مقربين.

- جداً. فعندما توفي جدّاك، أصبح ليونيدس أمي، وأبي وأخي. وبعد موته، تعذبت. ثم عند ولادتك، بدا لي كأنني استعدت أخي. ولكنك كنت أخي الصغير الذي يمكنني أن أرعاه.

وضحك ابن أخيه فشعر ديمتريوس أن الغيوم السوداء بدأت تنجلي.

- أود أن أتسلّق الجبل معك، ليون.

فرد ابن أخيه بانفعال: «أود ذلك».

ـ جيد. سنخطط لذلك فور عودتي من شهر العسل.

ـ شهر العسل؟

وأدرك ديمتريوس بأن لا شيء أقل من الزواج قد يرضيه: «سأقضي شهراً مطولاً وسأحتاج لأحدهم لإدارة الأعمال في نيويورك خلال رحيلي».

ـ وهل أنت جاد؟

ـ بالطبع فمن غيرك ينوب عني؟ وإلى أن تحين عودتي، ربما ستدرك بشكل أفضل ما إذا كنت تود إنهاء الدراسة ومواصلة الأعمال معي أو العيش حياة نسكية. شخصياً، أود أن يكون ابن أخي معي، فبناتي وابنائي لن يتمكنوا من مساعدتي قبل أن أتقدم في السن.

ـ عماه، أنت تستعجلني.

فقال ديمتريوس في سره: وهذا هو القصد فأنا أود حشو رأسك بأفكار كثيرة لإرباكك.

ـ أشعر أن أنفاسي مقطوعة هذه الأيام.

ـ عماه، أنت مغرم بالآنسة هاملتون، أليس كذلك؟

وأحكم ديمتريوس إغلاق عينيه: «أجل».

ـ أدركت ذلك لحظة أخبرتني أن نحضرها معنا إلى الفيلا.

ـ حدسك مصيب يا ليون ولهذا فأنت ستبرع في الأعمال لو اخترتها.

وأعقب ذلك فترة طويلة من الهدوء قبل أن يتكلم ابن أخيه مجدداً: «هل طلبت منها الزواج؟».

ـ أنوي ذلك فور انتهاء المهرجان.

ـ لا أدعي أني أعرفها ولكن لا بد أنها رائعة لأنه لم يسبق لي أن رأيتك بهذه السعادة طيلة حياتي.

ـ إنها هبة ولكنك الشخص الوحيد الذي أخبرته. أودّ أن يظل الأمر

سراً حتى نصبح مستعدّين للإعلان عن مخططاتنا.

ـ لن أقول شيئاً حتى لأمي.

ـ لطالما كنت قادراً على الاعتماد عليك. شكراً لرغبتك في ترؤّس الفيلق بدلاً مني. سنلتقي غداً في الفيلا قبل العشاء العائلي، أود رؤيتك في ذلك الزي.

ـ لقد حضّرته لك.

ـ صح، ولكننا من الدم نفسه لذا فإن الأمر سيّان.

ـ أواثق من أنك ستكون على ما يرام؟

وفضح صوته عمق اهتمامه بعمه الذي أردف: «الكسندرا أفضل من أي ممرّض فهي لن تدع مكروهاً يصيبني».

ـ هذا جيد ولكن انتبه لنفسك. أحبك، عمي.

ـ وأنا أحبك أيضاً ليون أكثر مما تدرك.

وأقفل الخط ثم غاص مجدداً في الوسادة.

لقد زرعت البذور ووحدها الأيام ستثبت ما إذا نزلت على أرض خصبة. أما بالنسبة للمرأة المتمددة على مسافة منه فأيامها كفرد من آل هاملتون باتت معدودة. ولولا المهرجان لاختطفها هذا المساء إلى مكان حيث يمكنهما أن يضيعا عن الوجود لأيام وليال لا متناهية.

في الصباح التالي تناولا الفطور في صالة طعام النزل ثم تفحصا بعجل معارض الحرير في سوفلي قبل أن يعودا أدراجهما إلى تسالونيكا على متن هيلكوبتر سببت لأليكس شعوراً بالخوف. وعندما حان موعد الهبوط على سطح بناء الباندكيس، شعرت الكس بالانزعاج. فكت حزام الأمان وهمت بالوقوف لكنها تداعت في مكانها فأحاطت ذراعاه القويتان بها فوراً وسأل قلقاً: «هل ثمة مشكلة؟».

ـ هل تصدّق بأنني من يشعر بالدوار؟

ـ تعانين من دوار الجو وهذا يحصل دوماً عندما لا تكونين معتادة على

ركوب الهليكوبتر. سأحملك إلى الداخل.

صرخت بنبرة قاطعة: «أرجوك لا!».

لقد عرفت ليل أمس طعم قربه ولكنه الصباح وقد عاد كل شيء إلى الواقع: «دعني فقط أتكىء على كتفك وسأكون بخير بعد دقيقة».

ـ هل تفضلين المكوث هنا حتى زوال الدوار؟

ـ لا، أظن أن ما أزعجني هو إدراك أننا على هذا الارتفاع..

ـ هيا، لندخلك إلى المبنى.

اتكأت عليه وأبقت عينيها مطبقتين لفترة. ساعدها على نزول الدرجات حتى وصلا إلى المكاتب في الطابق العلوي. تحسنت فور دخولها فهمس قريباً من وجنتها: «أفضل؟».

ـ كثيراً.

وأكملت في سرها: لكن لا تلمسني بعد الآن.

ـ تناولي هذا.

توقف عند برّاد الماء ووضع كوباً منه على شفتيها. وجدت طعمه لذيذاً فشربته كله وفيما كانت تسلمه إياه، التقت أعينهما. نظراته الباحثة كشفت عمق اهتمامه بها فأذهلها ذلك. ارتجف صوتها وهي تقول: «شكراً لك».

أحست به يأخذ نفساً عميقاً: «أهلاً، لقد استعدت لونك. هل أنت جاهزة لقطع ما تبقى من المسافة؟ نحن على بعد خطوات قليلة».

ـ أظنني أستطيع القيام بذلك من دون مساعدتك الآن.

تجاهل تعليقها وساعدها على دخول مكتبه حيث كان طاقمه يترقب التعرُّف عليها.

ـ لعلها أكثر اللحظات إحراجاً في حياتي.

وأشار إلى الكنبة حيث يمكنها الجلوس قائلاً: «ولكن فكري بتأثير ذلك على ستافروس فهو يظنك امرأة خارقة».

ضحكت الكس رغم وضعها. وفي غضون دقائق، تسنى للجميع إلقاء التحية عليها بمحبة فأحست كما لو أنها في منزلها. ظهر ستافروس أخيراً وهو يحمل كأساً من الليموناضة لها.

جلس بجانبها قائلاً بلغة انكليزية متقنة: «أعترف لك عزيزتي بأني لم أهوَ أبداً الركوب في هذا الشيء اللعين!».

وادعى ديمتريوس الغضب إلا أن عينيه كانتا باسمتين: «أتقول ذلك الآن؟».

وبدا في هذه اللحظة آسراً لا يقاوم بنظر الكس. شربت نصف الكوب قبل أن تعلن: «أظنني على ما يرام ما لم أكن مضطرة إلى الهبوط على السطح مجدداً».

وهمس ستافروس: «أفضل».

ثم نظر إلى ديمتريوس: «أنت تتردد».

عجزت الكس عن السكوت: «إنه يفعل ذلك أحياناً».

أعجبت بالرجل المتقدم في السن والذي خدم شركة بانداكيس لسنوات عديدة.

عندئذٍ ابتسمت عينا ستافروس وقال: «ثمة عمل كثير بانتظارك، ديمتريوس. إذا أردت المباشرة فسأري الآنسة هاملتون مكتبها».

لم يسبق لها أن تعرفت على أحد يُكلم ديمتريوس على هذا النحو وهذا دليل على العاطفة والحب المتبادل بينهما.

وتمتم ديمتريوس شيئاً ما عن مساعديه الذين يصبحون شركاء في الجرم قبل أن يسير مبتعداً نحو مكتبه الخاص حاملاً معه قلبها.

بعدما أنهت كوبها، شعرت بأنها على ما يرام وبات في إمكانها اللحاق بستافروس دون عائق. سيكون هذا المكتب الرائع مركزها خلال المعرض ولكن من الواضح أنه يخص شخصاً آخر. لم يخبرها مَنْ مِنْ آل بانداكيس أُجبر على التضحية بمكتبه.

بعد ساعة، كانا منهمكين في العمل. ومع انتهاء اجتماعهما، عرضت على ستافروس ما اقترحه عليها ديمتريوس.

- قبل ذهابي، هل أستطيع أن أكون صريحة معك؟

- بالطبع.

- لست شخصاً اجتماعياً وأفضل العمل وراء االكواليس، فأتأكد من أن كل شيء على ما يرام كما خططنا له. أنت قاعدة المؤسسة والشخص الوحيد القادر على الاهتمام بالشخصيات التي ستشارك في المهرجان. فهلاّ تولّيت هذه المهمة؟ أرجوك؟

وبدا متفاجئاً: «إذا كان هذا ما ترغبين فيه».

- بصراحة، إذا كان علي تسلية فعاليات مرموقة أجنبية، فقد أصاب بانهيار عصبي.

- أخبرني ديمتريوس أنك لست من النوع الذي ينهار.

- علي إخفاء بعض الأسرار للبقاء مع الرئيس.

ضحك الرجل العجوز ملء قلبه فأسعدها ذلك.

- لو علمت أنكما ستحتفلان، لما غادرت.

عندما سمعت صوت ديمتريوس القوي، نهضت الكس عن المكتب فيما قبع ستافروس على كرسيه المتحرك محدقاً برب عمله بمرح: «كنا أنا والآنسة هاملتون نحل بعض المشاكل. إنها تطلب مني مساعدتها في إتمام جدول أعمالها، لذا يبدو أنني سأكون سفير المهرجان بمحض إرادتي».

- افعلا ما يحلو لكما ولكنني أخشى أن الوقت قد تأخر الآن وعلينا الذهاب الكسندرا.

استدارت نحو ستافروس: «أراك لاحقاً إذاً. شكراً لك على كل شيء».

- من دواعي سروري.

أمسك ديمتريوس بذراعها وحثها على التوجّه نحو المصعد. وخلال

توجههما إلى أسفل الردهة في الأسفل، بدا أنه يحاول سبر غورها.

- هل تعلمين أن ستافروس نادراً ما يضحك هكذا؟ لقد جعلته رجلاً سعيداً ولهذا ستنالين مكافأة.

هزت رأسها: «أرجوك، لا أريد مزيداً من العلاوات».

قال بصوت هادىء: «في الواقع أفكر بشيء آخر. عندما ينتهي المهرجان، ستكتشفين ماهيته».

لم تشأ الكس الحصول على هدايا من ديمتريوس فما تريده بعيد المنال. كانت ليلة أمس مضلّلة وعليها أن تستمر في تذكير نفسها بأن السبب الوحيد الذي جعله يحتضنها هو شعورها بالدوار. لم يدعها حتى ساعدها على الصعود في سيارته الليموزين التي كانت تنتظرهما.

- حقيبتي!

- إنها في الصندوق مع أغراضي.

وبعدما أعطى ديتريوس تعليماته للسائق، انطلقا. صرخت الكسندرا فيما كانت السيارة تستدير نحو اليمين خلافاً للمعتاد: «أليس الفندق في الناحية الأخرى؟».

أومأ: «أجل ولكن ما زال لدينا عمل علينا انجازه بعد العشاء وليس لدينا الوقت لإيصالك وإرجاعك. كما أن بإمكان مايكل وأصدقائه تسلية أنفسهم. اعتقد أن من الحكمة بقاءك في الفيلا. أما بالنسبة لصديقك باني فبإمكانه وفتاته استعمال غرفة النوم الأخرى في جناحك والتي لن تشغليها».

قالت بعد صمت مثقل: «كم من الوقت تتوقع أن يدوم الحفل؟».

- ليس لديّ فكرة. هل يهم ذلك؟ أنت ضيفتي ومن الطبيعي أن تحضري العشاء معي.

- لكنني لست من العائلة.

ولعن ديمتريوس بصوت خافت.

- يبدو أن رأيك بي متواضع إذا كنت تظنين بأنني سأدعك في حالك. كل فرد في العائلة يتحرق لمقابلة المرأة التي استطاعت إحياء عظمة تيسالونيكا وإظهارها للعالم الذي ينظر إليها مذهولاً.

أحنت رأسها: «شكراً لك على المديح ولكنك تبالغ كالعادة في تقدير مساهمتي في الأمور».

سمع تنهيدتها العميقة: «هل عليّ التأنق للعشاء أم أرتدي إحدى بزاتي؟».

- ارتدي ما يشعرك بالراحة.

- ربما أستشير زوجة أخيك فلديها فكرة واضحة.

- لا يعود القرار لآتانكي.

- أليست هي المضيفة؟

- كلا، سنأكل في فيلا العم سبيروس.

وخانها صوتها: «ظننته توفي».

- أجل. ولكن بعد موته، انتقل ابنه بانتليس إلى منزله مع عائلته. ستحبين زوجته استيل فهي لا تبالي بالأمور التافهة.

وأعقب ذلك صمت طويل. رمقها بنظره قائلاً: «ما الذي يجري في ذهنك لكي يعلو وجهك هذا التعبير العنيف؟».

- قد يفاجئك أن تعلم أن السكرتيرات العمليات يهتممن بأن يبدين بأفضل حال عندما تقتضي المناسبة ذلك.

قال غاضباً: «أنت لم تظهري يوماً بصورة غير لائقة خلال عملك معنا. إذا اعتقدت أنني ألمّح إلى شيء آخر، فأنت مخطئة».

شعر بأنها تبتعد عنه إذ لم تعد الأمور مماثلة لما كانت عليه عند مغادرتهما داديا.

عندما ظهر نيكولاس، طلب منه ديمتريوس إحضار أمتعتها ثم أمسك بساعد الكس لمرافقتها إلى الفيلا. بدت مستعجلة في الوصول إلى غرفة

الضيوف. بعد ما حصل في الساعات الأربع والعشرين الأخيرة، انزعج لفكرة انفصالهما لأي سبب كان.

- كوني جاهزة خلال ساعة.

أومأت ثم همت بإغلاق الباب: «الكسندرا».

- نعم؟

بدت له مقطوعة الأنفاس كما شعر تماماً، حين أضافت: «هل ثمة ما نسيت إطلاعي عليه؟ شيء تود مني فعله؟».

يريد الكثير منها لكنه لم يستطع التفكير بأي شيء تحديداً فأعلن: «يمكن لذلك أن ينتظر».

بعد إلقاء ملاحظته الغامضة، استدار متجهاً نحو جناحه. فأوصدت الكس الباب واتكأت عليه.

لم تستطع أن تفهم ما الذي اعتراه. ليلة أمس، عندما دعاها للرقص، كان شخصاً مختلفاً كلياً ولم تعرف الكس أبداً متعة مماثلة كالتي اختبرتها في تلك اللحظات بين ذراعيه. صعقت مجدداً حين خطر لها أنه لطالما تقبّلها كما هي وقد أحبته لذلك. ولكنه بدا الآن شديد الغضب. ما الذي قالته؟ سرت رجفة في جسدها فهي لم تره غاضباً فعلاً إلا مرات قليلة في المكتب. الشيء الوحيد الذي لا تريده أبداً، حتى ولو كانت تستحق، أن يصبّ غضبه عليها. وجدت الكس نفسها تتمنّى لو تتجرأ على أن تكون على طبيعتها الليلة. ولولا احتمال وجود جورجيو في الحفل، لرغبت في إنهاء ذلك التنكر إلى الأبد.

قفزت لدى سماعها طرقاً على الباب. ظنته ديمتريوس وقد غيّر رأيه وأتى ليسألها أداء خدمة له. عندما فتحت الباب وجدت نيكولاس ومعه حقيبتها التي وضعها في الغرفة. ورغم حاجتها لحقيبتها كي تستعد للحفل، أحست بمرارة الخيبة لعدم حضور ديمتريوس. شكرت الرجل على عجل ثم أقفلت الباب وراءه وتوجهت إلى الحمام والدموع تنهمر على

وجهها. لقد حصل الكثير خلال يوم واحد فلم يعد بوسعها التماسك مدة أطول واحتاجت إلى إطلاق العنان لمشاعرها.

بعد نصف ساعة، توجهت إلى حقيبتها وأخرجت منها الثوب الوحيد الذي أحضرته معها من نيويورك. عندما خطط مايكل لشكل ملابسها، ضحكا معاً للخيارات التي اقترحها إلا أن الكس لم تعد تضحك الآن. رفعت الثوب الرمادي المؤلف من ثلاث قطع، وتأملت عيناها التطريز على الياقة والكمين. لقد كان قبيحاً. لم تحتمل فكرة ارتداءه ولكن لم يكن لديها أي خيار.

نظرة واحدة إلى المرآة جعلتها تنفر أيضاً من شعرها البني المصبوغ الذي ترفعه دوماً.

ـ الكسندرا؟

جاء صوته الحازم وتلاه قرع على الباب.

ـ أنا جاهزة.

انتعلت حذاءها الأسود مجدداً ثم أمسكت مقبض الباب. لو تفوه بكلمة واحدة عن مدى جمالها لـ...

ولكن مجرد النظر إلى الرجل الطويل والقوي الذي يرتدي قميصاً حريرياً أسود مع بنطلون أسود، جعلها تنسى المنظر الفظيع الذي تبدو عليه.

ـ ليون ووالدته ينتظراننا في السيارة. لديهما انطباع بأنني لم أستعد عافيتي بعد لأمتطي جواداً لذا جاريني في اللعبة فيما أستند إليك. هلاّ ذهبنا؟

ودفعها مجدداً إلى أسفل الرواق وذراعه قد أحاطت كتفيها. رائحة الصابون المألوفة التي كان يستعملها في الحمام جمّدت أوصالها. لا بد أن ديمتريوس هو الرجل الأكثر وسامة على الأرض.

كم يبدو مثيراً للضحك مظهرها قربه...

تلك النظرة الغريبة التي حدجتها بها آنانكي عندما جلسا في الليموزين، أثبتت رأي الكس بنفسها ولكن عينّي ليون كانتا لطيفتين عندما استقرتا عليها.

ـ مساء الخير، آنسة هاملتون. تسرني رؤيتك مجدداً ليون. فمنذ ذلك اليوم وأنا أود الاعتذار عمّا بدر مني.

هز رأسه: «لا، لا. أنا الأحمق. لا ينبغي علينا مناقشة ذلك مجدداً».

بدا تماماً كديمتريوس وهو يتكلم.

اختارت والدته تلك اللحظة لتقول شيئاً ما لسلفها.

ـ تكلمي بالانكليزية آنانكي.

ـ برأيي كان يجدر بك البقاء في المنزل، ديمتريوس. لم يكن ينبغي عليك أبداً مغادرة سريرك البارحة.

تدخلت الكس: «أوافقك الرأيّ سيدة باندراكيس خصوصاً وأنه ما زال لدينا أعمال نقوم بها بعد العشاء. لا أظن أنّ عليك المكوث مطوّلاً، لا سيّما وأنك ما زلت تشعر بدوار».

وأعلن ابن أخيه بحزم مفاجيء: «لقد حسم الأمر إذاً. سنأكل بسرعة ونغادر».

ـ شكراً لكم جميعاً لأنكم قررتم بدلاً مني.

ملاحظة ديمتريوس الغريبة جعلت الكس تتذمر: «على أحدهم فعل ذلك».

ـ سأختصر الليلة بشرط واحد.

فسألت آنانكي مستبقة عقل الكس: «وما هو؟».

ـ بعد أن تكلفت الآنسة هاملتون عناء خياطة زيّ لي، أريد أن ترى العائلة كلها ليون مرتدياً الزي قبل أن يلبسه غداً مع الفيلق.

ـ يسرّني ذلك عماه ولكن الوقت قد تأخّر الآن وستبلغ الفيلا في لحظات.

حدجت الكس مضيفها بنظرة جانبية وتبينت في عينيه لمعاناً: «طلبت من نيكولاس وضعه في الصندوق. لن يتمكن ليون من التملص من ذلك».

كانت مسرورة لرؤية مخطط ديمتريوس ينجح في ما يتعلق بابن أخيه. أدارت الكس رأسها ونظرت إلى الخارج. وفيما انعطفا في طريق اصطفت على جانبيه السيارات، لمحت فيلا تقليدية الطراز، أكبر وأكثر ضخامة من تلك التي غادروها للتو. ذات مرة، أسرّت السيدة لانداو إلى الكس بأن سيبروس كان يترأس عائلة بانداكيس ولديه أربعة أبناء لكن ابن أخيه ديمتريوس هو القوة الدافعة للمؤسسة برمّتها.

لقد صدقت توقّعاتها، فبعد موت العم سيبروس لم يحصل انتقال للسلطة، لأن ديمتريوس كان ممسكاً بزمام السلطة التي يتفرّع منها عمل سائر أفراد العائلة.

سيكون من المثير رؤية ابن أخيه لامعاً في دنيا الأعمال على مثال عمّه بعد كل محاولات ديمتريوس لجعل ليون يقرر مصيره بنفسه.

تمنت الكس من أجل آنانكي، أن يتزوج ابنها وينجب أولاداً. كانت المرأة تتعذب فلقد توفي زوجها منذ سنوات. لقد فات أوان النحيب غير أن الكس استنتجت أن مصدر ألمها يتأتى من مكان آخر. كان لديها انطباع بأن ليون لم يكن السبب الأساسي لذلك.

همس ديمتريوس في أذنها: «لقد وصلنا».

كانت تعلم أن تصرفه عرضي غير أن حركته بعثت موجات من السعادة فيها.

ـ ليون؟

ونادى ابن أخيه: «سأرافق أمك إلى الداخل فيما تتناول الكيس وتجهز».

ـ نعم عمي.

كبحت الكس ابتسامتها فليون لم يكن معتاداً على طلبات ديمتريوس.

وفي غضون دقائق، تأبطت آنانكي والكس ذراعي ديمتريوس فيما كانا ينعطفان نحو شرفة الفيللا حيث احتشد جمع غفير، وأحصت الكس نحو ثلاثين فرداً على الأقل من آل بانداكيس في ثيابهم الأنيقة.

صرخ أحدهم بسرور: «ديمتريوس!».

ونبهها: «لا تتحركي من قربي».

***

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

٨ ـ رفيقة زيوس

كانت الكس في غاية السعادة لذا لم تعارض مضيفها. وقبل أن يتكلم، لمحت جورجيو بانداكيس بين الحشود. كان أقصر أشقائه وقد اكتسب وزناً منذ تلك الحادثة المرعبة حين تحرّش بها خارج متحف الحرير. حينذاك، وجدته أقل رجال بانداكيس وسامة ولم تغيّر رأيها هذا المساء. ارتجفت فنظر إليها ديمتريوس بفضول إذ أنه يلاحظ كل شيء.

ـ هل تشعرين بالبرد؟

كذبت: «كلا. أظنني رأيت حشرة».

ابتسامته السريعة جعلتها تمسك أنفاسها: «إذا رأيت حشرة فهي فراشة، إذ تكثر الفراشات في هذه الفترة من السنة ولن تؤذيك».

نظرت بعيداً فيما كان الجميع يهرع نحوهما متكلّماً باليونانية بسرعة فلم تتمكن الكس من التقاط سوى عدد من الكلمات والجمل. كان مضيفها الأفضل بينهم بشكل واضح وخصوصاً بنظر الأولاد الصغار الذين تعلقوا بساقيه راغبين في أن يحملهم، غير أن آنانكي وضعت حداً لذلك وقادته إلى كرسي على إحدى الطاولات حيث جلست قربه. تبعتها الكس واتخذت لها مقعداً في الجانب الآخر. انهالت عليه الأسئلة بشأن الحادث كما أدركت الكس، وكان ديمتريوس يجيب على كل منها بصبر فيما كانوا يأكلون. بعدما تم تعريفها بابنيّ عمه بانتليس وتاكيس، سعدت لحديثهما

مع آنانكي وهكذا بات بإمكان الكس البقاء في الخفاء.

كانت تتناول طعامها عندما سمعت صرخة. وتحوّل الاهتمام عن ديمتريوس مع دخول ليون. أطلقت الكس صرخة هادئة لأن الزي لاءمه تماماً وبدا وكأن القديس المرسوم على الأيقونة قد عاد إلى الحياة. هدأ الضجيج فيما حدّقت إليه العائلة مذهولة.

رأت الكس ابتسامة ديمتريوس لابن أخيه الذي بادله الابتسامة بمحبة وسمعته يتكلّم باليونانية.

تكلمت مضيفتها بالإنكليزية: «انتباه جميعاً».

ـ غداً سينوب ليون عني أمام الفيلق. ويفضل نبوغ سكرتيرتي، الآنسة هاملتون التي خططت للمهرجان بكامله وأعدت هذا الزي، أرى أن ليون سيكون مفخرة آل بانداكيس.

صفّق الجميع وتوسلوا إليه أن يتجوّل بالزي لكي يتمكنوا من إلقاء نظرة عليه. شعرت الكس أن ليون يستمتع بكل الاهتمام الذي يحيطونه به، وقد بدا رائعاً فعلاً في زيه.

وبدأ أفراد العائلة يقتربون للتعرّف إليها، وقالت إحدى النساء بإنكليزية متقنة: «كيف فكرت بابتكار زيّ بهذه الروعة؟».

احمرّ خدّاها: «كان الأمر سهلاً فالقديس ديمتريوس معروف في التاريخ واتفق أن مديري يحمل اسمه».

فقال ديمتريوس: «إذاً، لو كان إسمي هايدس، هل كنت ستبتكرين على الفور زياً يناسبني؟».

كان تعليقه غير متوقع فانفجرت الكس ضاحكة ونسيت نفسها: «باستثناء إله الظلمات، لم أسمع أبداً بأحد اسمه هايدس».

أردف بصوت أجش: «لم أسمعك قط تضحكين هكذا. عليك أن تكرري ذلك مراراً».

تمنّت أن تأخذ ملاحظته على محمل شخصي ولكنها أدركت أنه

يحاول فقط مساعدتها لتشعر بالارتياح وسط حشد من الغرباء.

اقترب منهما رجل آخر أسمر من أقربائه.

ـ آنسة هاملتون؟ أقدم لك «فازو»، ابن عمي وصديقي الحميم.

ابتسم «فازو» وصافحها: «يسعدني لقاؤك أخيراً. كان عليكما أن تحضرا العشاء الذي شاركت فيه البارحة فرئيس الوزراء عبّر عن خيبته لأنه لم يتعرّف إلى المرأة الأميركية التي أعدت هذا المهرجان المذهل. كانت هذه كلماته حرفياً».

همست: «شكراً لك».

ربت فازو على كتف ديمتريوس مداعباً وقال: «يقول إنه قد يسرقها منك للعمل في الهيئة التجارية في المستقبل. فاحذر يا ابن عمي».

ابتسم لها ديمتريوس. تلك اللحظات كادت تكون أسعد لحظات حياتها لو لم تر جورجيو يتقدّم نحوهما.

منذ وصولهما إلى اليونان، وهي تخشى لحظة مواجهته. وبما أن الوقت قد آن الآن، فلم يعد هناك مجال للهرب.

ـ مساء الخير، ديمتريوس. آسف لسماع أنك لم تتعاف بعد من الحادث.

ـ شكراً لك جورجيو، أقدم لك سكرتيرتي التي جعلتني موضع حسد من رئيس الوزراء شخصياً. آنسة هاملتون، إسمحي لي بتقديم ابن عمي جورجيو.

سألت متجنبة النظر إليه: «كيف حالك؟».

قبّل ظاهر يدها لكنه لم يطلقها فوراً. وتذكرت حين أمسكها رافضاً إفلاتها حتى انتزعه ديمتريوس عنها. استرجعت رعب تلك الليلة، بوضوح، ما جعل العرق البارد يتصبب منها.

أزاحت يدها غير عابئة بإهانتها له لكنه لم يحفل بذلك بل لزم مكانه: «إنه اسم أميركي شهير».

ـ أنت محق جورجيو. سميت الكسندرا تيمناً بجدها الأكبر الكسندر هاملتون السياسي الأميركي المعروف.

ـ هذا يفسر براعتك المذهلة في شركة بانداكيس. فمع تنظيمك لهذا المهرجان، جعلت من نفسك أساسية في حياة ابن عمي. تهانينا!

لم يفت الكس ومضة العداء في عيني ديمتريوس قبل أن ينسحب جورجيو معتذراً. كان قلبها يطرق في أذنيها.

ـ كيف علمت بشأن جدودي؟

ـ كانت السيدة لانداو تتحرى عن الموظفين وأخبرتني ذلك بالصدفة.

ظنت للحظة أنه ربط بينها وبين جدّها الذي استضاف مؤتمر الحرير منذ تسع سنوات، ما يعني أن تطلعه على الحقيقة كاملة الليلة. لكن حمداً لله! يمكنها الانتظار حتى تكتب استقالتها قبل أن تكشف حقيقتها.

ـ كانت السيدة لانداو تثق بك كثيراً فإطراؤها لعملك هو السبب الوحيد لجعلك سكرتيرتي الخاصة بعد رحيلها.

كان يفترض بها أن تسعد لثناء السيدة لانداو عليها ولكنها لم تستطع لسبب ما.

ـ إنسي ما قاله جورجيو.

خمد النور في عيني ديمتريوس كما لم يسبق له من قبل: «لسوء الحظ، لديه نزعة للتسبب بالإزعاج وبما أنه قد أزعجك، سنرحل الآن».

نهضا عن الطاولة، وتبعتهما آنانكي.

ـ سأبحث عن ليون وألقاكما في السيارة.

وفيما ابتعدت مسرعة، حوّل ديمتريوس بصره إلى الكس.

ـ من أجل ابن أخي، كوني مستعدة لدعمي حتى بعد أن نصل إلى المنزل. لا أوده أن يظن أنه يستطيع التملّص من ذلك الآن.

وهمست: «لا أظنه يود ذلك إذ يبدو أن المهمة التي أوكلتها إليه لاقت استحسانه».

- آمل أن تكوني محقة.

وبعد دقائق معدودة، كانا جالسين في الليموزين. لم يتوقف ليون عن الكلام وعلت ابتسامة دائمة وجهه الوسيم حتى أن معنويات آنانكي ارتفعت قليلاً على ما يبدو. عندما أوشكوا على بلوغ الفيلا، رن هاتف الكس وفيما كانت تخرجه من حقيبتها لاح عبوس على محيا ديمتريوس.

- يبدو أنه من الصعب العثور عليك في هذه الأيام.

- مايكل! هل تمرحون جيداً؟

- بالطبع ولكننا لم نترك بعد، فصديقك ياني وفتاته وصلا منذ بضع دقائق.

- هل ياني هناك الآن؟

- أجل، لِمَ لا تمرين بالفندق لتثبتي لنا أنك لست من نسج خيالنا؟ أريد أن أسمع التفاصيل، إذا سمح لك معلمك وسيدك بالذهاب.

عضت على شفتها وهمست غير قادرة على الشرح فيما كان ديمتريوس متنبهاً لكل نفس تلتقطه:

- لا، لا أظن أن بإمكاني الليلة.

- من الواضح أنه لا يمكنك التحدث الآن. لذا اتصلي بنا لاحقاً عزيزتي.

أعادت الهاتف إلى حقيبتها محاولة التظاهر بأنها لم تلاحظ أن ديمتريوس كان يصغي إليها. عندما توقفت السيارة أمام الفيلا ساعد ليون والدته على الخروج ثم فتح الباب لعمّه قبل أن يأخذ آنانكي إلى الداخل. خرجت الكس واستدارت بسرعة لتعرض دعمها على ديمتريوس لكنه لم يقم بأي خطوة لدخول المنزل بل رفع نظرته القاتمة نحوها قائلاً: «آسف إذا رغبت في البقاء مع أصدقائك الليلة لكن وجودك هنا سيقنع ابن أخي بأنني لم أعد إلى طبيعتي».

- أعي ذلك.

وتفحص ساعة يده: «إنها العاشرة إلا عشر دقائق. لِمَ لا تدعينهم للمجيء إلى هنا للسباحة».

صرخت مصدومة: «الليلة؟».

- أجل فالأمسية دافئة وربما سيثبت لهم ذلك أنني لست الغول الذي يتصوّرونه.

احمرّت وهي تتذكر ملاحظة مايكل الأخيرة: «هذا ليس رأيهم بك».

ابتسم قليلاً فبدا آسراً: «يسرّني سماع ذلك. في هذه الحالة، سأطلب من كريستوفر أن يأتي بهم فيما تتصلين بهم لإبلاغهم».

- إنّه لطف منك. لا تملك أي فكرة كم سيغتبطون لمقابلتك وللحلول ضيوفاً في الفيلا فهذا سيزيد من أهمية هذه الرحلة بالنسبة إليهم.

- جيد... أنا سعيد بتسوية الوضع، فليون أحب صديقك مايكل وربما يود موافاتنا.

ترددت وهي تكره إطلاعه على الأكاذيب ولكنها أملت بأن تكون هذه أكذوبتها الأخيرة: «أنا لا أسبح».

- ما من مشكلة، فسيجد ابن أخي الأمر مريباً لو اكتشف أنني أجهد نفسي في السباحة بينما يفترض بي التماثل للشفاء. يمكننا أن نعمل بينما نراقبهم.

وفي ثوان، سمعته يعطي تعليماتٍ لكريستوفر فحارت الكس كيف تداري مشاعرها وقد بلغ حبها أوجه. جلّ ما استطاعت فعله هو إخراج هاتفها للاتصال بالفندق فمايكل على وشك تلقّي مفاجأة حياته.

***

- لم يسبق لي أن رأيتك أجمل، الكسندرا. فمع شعرك البني يليق بك حتماً الرمادي.

هذا ما قاله مايكل بصوتٍ عالٍ بعد خمس وأربعين دقيقة أي لحظة وصوله. كيف أمكنه النظر إليها وقول ذلك؟ فعانقته باختصار هامسة:

«أنت شرير. أتعلم ذلك؟».

وغمزها قائلاً: «بالطبع. أين السيد العظيم؟».

ـ قرب حوض السباحة.

ـ هذا المكان متحف حيّ. كيف هي الإقامة...؟

قاطعته مجيبة بصوت مرتعش: «كالنعيم».

ـ أرى ذلك. يجدر بك توخي الحذر وإلا فسيكتشف لعبتك ما لم يكن قد اكتشفها.

همست معذّبة: «أعلم».

تبعوا ليون الذي عرض عليهم القيام بجولة في الطابق الأرضي للفيلا قبل السباحة. سرها تفاهم أصدقاءها مع ابن أخ ديمتريوس. كانوا يحبون المسرح، فدار بينهم حديث حيوي إلى أن قادهم ليون إلى حوض السباحة المستطيل خلف الفيلا حيث خطفت الحديقة اليونانية الطراز أنفاسهم.

غير أن الكس لم ترَ سوى ديمتريوس الذي وقف لدى رؤيتهم وهو لا يزال في قميصه الأسود وينطلونه. بدا وسيماً بشكل قاتل فألمها النظر إليه، أما شخصيته الفذة ففرضت تأثيرها على الجميع وخصوصاً على مايكل الذي رفع حاجبيه في الخفاء ليقول لها إن هوسها لم يعد دون مبرّر.

أرشدهم ليون إلى مكانٍ لتغيير ملابسهم وفي دقائق قفز معهم إلى الحوض واستطاع منافستهم في لعبة بولو. كان ابن أخ ديمتريوس يمتلك نفس البنية الرياضية وبإمكانه التغلب عليهم. عندما تقدّم الليل، أدركت الكس أنها لم تكن الوحيدة التي لاحظت شخصية ليون المكتملة، إذ بدا واضحاً أن صديقة ياني الصهباء معجبة بليون. وبدا أن ليون يبادلها الشعور ما جعل ياني يفقد ابتسامته.

تنبهت للوضع الذي استجدّ، فوضعت الكس مفكرّتها والتقت عيناها المضطربتان بنظرة ديمتريوس المتحرّية.

قال بصوت منخفض لئلا يسمعه أحد: «هل ياني ومرلينا

مخطوبان؟».

أخذت نفساً عميقاً: «كلا، فلديه صديقة أخرى في نيويورك».

ـ هل تريدين مني فعل شيء حيال ذلك؟

أدركت الكس المقصد من سؤاله المبطن. كانت تحب ياني ولا ترغب في رؤيته مجروحاً كما سيصعب عليه منافسة ليون وكل تلك الفخامة. إنه رجل وسيم يتمتع بسحر يقطع الأنفاس تماماً كالرجل الجالس إلى جوارها. ومن جهة أخرى...

ـ لا يضر ليون أن يدرك أنه موضع اهتمام امرأة الآن تحديداً. فمرلينا فتاة جميلة وإذا كان اهتمامها به يستطيع أن يزيد من ارتباكه بشأن ما يريد القيام به في حياته، فلا بأس بذلك.

ـ أنت تقرأين أفكاري مجدداً. وماذا بشأن صديقك ياني؟

هزت كتفيها: «يقول إنه لا يبحث عن أي علاقة ثابتة بعد وربما يحتاج إلى منافسة شريفة. فيوماً ما، عليه اختيار امرأة مناسبة له من بين صديقاته الكثيرات».

نظر إليها بإيجاز: «إلى أن قابلتك، لم أكن أعتقد بوجود امرأة صادقة».

ملاحظته الجارحة التي قالها بحدة أربكتها واستطاعت سماع تحذير أمها في أذنيها.

تأوهت بصوت منخفض ونهضت عن الكرسي مع مفكّرتها قائلة: «لا يسعني شكرك كفاية لفتح منزلك والترحيب بأصدقائي ولكن الوقت تأخر كثيراً وعلي أن أكون في موقع الاحتفال باكراً في الصباح للمساعدة في تنظيم كل شيء. سأخبر مايكل بضرورة رحيلهم».

نهض وقال لدهشتها: «إنهم يمضون وقتاً مسلياً فدعينا لا نقاطعهم، سيهتم ليون بكل شيء».

قبض على ذراعها كما لو أنه يحتاج فعلاً إلى المساعدة. غادرا حمام

السباحة من دون أن يلاحظهم أحد وفي طريقهما إلى الفيلا، سألته عن المكان الذي يريد أن يكون فيه خلال العرض.

ـ سأوصل آنانكي إلى المنصة ثم أعود إلى المكتب لأشاهد الإجراءات عبر التلفزيون وسأوافيك إلى حفل الافتتاح ما أن يلقي ليون خطابه حيث سنذهب إلى سفينة كليوبترة لتناول الغداء مع ستافروس وعدد من الفعاليات.

أمام غرفتها، تجرأت أخيراً على رفع بصرها إليه: «آمل أن يلقى المهرجان النجاح. أريد أن تكون الأمور على أحسن ما يرام».

ـ ستكون كذلك. عمت مساءً، الكسندرا. نامي جيداً.

قالت قبل إقفال الباب: «وأنت أيضاً».

لكن عندما اختلت بنفسها في الغرفة، وجدت أنها بلغت نقطة اللاعودة مع ديمتريوس. فهذا المساء، أخبرها أنها المرأة الصادقة الوحيدة التي عرفها. كانت الكس شديدة الهيام به لذا لا يمكنها أن تخدعه، عليها أن تذهب فوراً إليه وتدلي باعتراف كامل وإلا فلن تقوى على مواجهة نفسها ثانية واحدة. إذا طردها فوراً، فتكون قد نالت ما تستحقه.

غادرت الغرفة من دون إضاعة الوقت على أمل ألا يراها أحد، وأسرعت نحو بابه. طرقت الباب فلم يجب على الفور. لم تعرف بما تفكّر. نادت باستعجال وطرقت الباب ثانية: «ديمتريوس؟».

وفجأة، فتح الباب.

كان يرتدي قميصاً غير مزررة وعندما نظرت إلى حركة صدره المتين المكسو بالشعر القاتم، جفّ حلقها ورفعت عينيها إليه. كانت عيناه غامضتين فاستحال عليها التنبؤ ما إذا كان منزعجاً. اتكأ بيد واحدة على طرف الباب وسأل: «هل من قرار مستعجل يتعلق بالعرض تودين مناقشته معي؟».

كان صوته الرجولي العميق يتلاعب بأعصابها.

فركت راحتيها بعصبية على وركيّها: «لا، فما أود التكلّم بشأنه لا يتعلق بالمهرجان. ولكن من الواضح أنني انتظرت طويلاً لإزعاجك. أعذرني».

لا بد أنه شعر بنواياها لأنه أمسك بذراعها قبل أن تتمكن من الابتعاد: «لا داع للاعتذار. أدخلي الكسندرا، فلم استطع أن أنام».

ـ يبدو أنك مشغول على ابن أخيك أكثر مما يبدو عليك.

أجابها بغموض: «أجل وعلى أشياء أخرى».

ودفع الباب مغلقاً إياه وراءها.

ـ إذا كان كلامك سيستغرق وقتاً، فتعالي إلى هنا.

لم تستطع التراجع وتبعته إلى الطاولة حيث نفذت طلبه.

ـ ديمتريوس.

ـ إنها بداية جيدة. فلسبب ما زلت أجهله، يبدو أنك تواجهين صعوبة في قولها.

ـ لأنّ الأسماء الأولى تلغي الحدود بين العامل ورب العمل.

ـ لا بدّ أنني أعني لك الآن أكثر من ذلك.

ـ نعم، لقد أصبحنا صديقين حقيقيين.

كان قلبها ينبض بعنف فتململت في كرسيها وأضافت: «أشعر أنني قادرة على إطلاعك على أيّ شيء».

ـ ألهذا السبب أنتِ هنا؟

ـ نعم.

ورطبت شفتيها الجافتين بعصبية.

ـ قلت الليلة إني المرأة الصادقة الوحيدة التي قابلتها.

ـ أنا لا أقول أبداً ما لا أعنيه.

ـ عليك إذاً أن تعلم أنني لم أكن صادقة معك كلياً بشأن أمر في غاية الأهمية.

لمعت في عينيه شعلة غريبة: «لا بد أنه كذلك لتأتي قارعة بابي. أكملي، أنا مصغ»

ـ ما سأقوله مرتبط بحادثة جرت منذ زمن بعيد.

سأل بهدوء: «مع رجل؟».

ـ أجل.

شعرت بجموده قبل أن تسمعه يلتقط أنفاسه بحدة: «هل اغتصبك؟».

ـ كاد يفعل لكن رجلاً آخر أتى لإنقاذي.

ـ الحمد لله.

جاء رده انفعالياً وأكمل: «كم كان سنّك عند حصول ذلك؟».

ـ كنت في السادسة عشرة.

ـ أفهم الآن لما ترتدين ملابسَ تخفي جسدك.

أغمضت عينيها بحزم للحظة، إذ بدا قريباً لكنه بعيد عن متناولها في الوقت نفسه.

ـ آمل أن يكون الرجل الذي أنقذك قد أوسعه ضرباً قبل تسليمه إلى الشرطة.

ـ لقد أفقده الوعي. أحببته لتصرُّفه هذا.

وأردفت بصوت منخفض: «في الواقع، كنت مغرمة به من حينها. ديمتريوس، ذلك الرجل...».

لكن الكس لم تستطع إكمال جملتها لأن الباب انفتح فجأة.

استدارت في كرسيها فيما كان ليون يتقدم في الغرفة. أبطأ سيره قبل أن يتوقف عندما رآها.

ـ آنسة هاملتون، لم أدرك أنك هنا. لقد طرقت الباب.

وتحوّل بصره إلى ديمتريوس: «هل تشعر بسوء؟».

فتدخلت قبل أن يستطيع ديمتريوس أن يتكلم: «جئت لأسأله ولكنه

يصرّ على أنه بخير».

وتمتم ديمتريوس: «بماذا أخدمك ليون؟».

ـ كنت آمل أن نراجع الخطاب إذا لم تكن مرهقاً. فغداً صباحاً، سيكون الوقت متأخراً جداً. لا أريدك أن تشعر بالعار أمام العالم بأسره.

وهزت الكس رأسها: «لن تشعره بالعار، ليون».

نهضت عن كرسيها وهمست في أذنه: «منذ نصف سنة على الأقل، أخبرتني السيدة لانداو أن عمك يريد منك أن تفتتح المهرجان. كان عليه إظهار نواياه باكراً إلا أنه لم يشأ إجبارك على القيام بأعمال لا تريدها. كان عمه سبيروس يضغط عليه في حياته لذا لم يشأ معاملتك بالمثل».

بدت عينا ليون لامعتين مريبتين وهمس: «شكراً على إطلاعي».

ـ على الرحب والسعة.

واحتج ديمتريوس: «أرى أنني أعامل كما لو أنني غير موجود في الغرفة».

داعبته الكس بجرأة أكثر من المعتاد: «يفترض بك الاسترخاء».

يبدو أن على اعترافها أن ينتظر.

ستذهب إلى غرفتها وتترك الباب مفتوحاً. وفور ذهاب ليون ستعود إلى ديمتريوس وتنهي ما بدأته.

ـ قبل أن أودّعك، أود أن أشكرك على إظهار لطفك مع أصدقائي، ليون. لقد أحبوا الجولة الاستطلاعية في الفيلا واستطيع القول إنهم أمضوا أوقاتاً لا تنسى الليلة.

عبس: «لقد أمضيت وقتاً طيباً كذلك وسألوني في الواقع مرافقتهم إلى الفندق لكن هذا الخطاب حال دون ذلك. سنلتقي غداً بعد الاستعراض للاستمتاع بالمهرجان معاً. سأحضر معي عدداً من الفتيات».

ـ سيحب الشبان ذلك فالنساء اليونانيات يضاهين الرجال وسامة.

ألقى ليون رأسه إلى الوراء ضاحكاً تماماً كما فعل ديمتريوس خلال

رحلتهما.

ـ هل سمعت ذلك، عمّاه؟

وابتسمت الكس: «هيا اسخرا مني بقدر ما تشاءان ولكنها الحقيقة. على فكرة، بدوت وسيماً في ذلك الزي. ستتسع عينا مرلينا عندما تراك في العرض غداً».

تلونت وجنتاه بلون قرمزي: «أتظنين ذلك؟».

ـ أنا واثقة، فكل شيء عادل في الحرب والحب.

داعبته مضيفة: «حظاً موفقاً للغد ولكن عمك أخبرني أنك لن تحتاجه... عمت مساء كيري بانداكيس».

فقال: «ألا أحصل على عناق؟».

تجاهلت ملاحظة ديمتريوس وانسلت خارج الغرفة.

في ظل هذه الظروف، بدت شاكرة لتصميم ليون على رؤية عمه الليلة. لقد جاء قبل أن تتسنى لها الفرصة لفضح كل شيء أمامه.

لا تستطيع التنبؤ كم سيغضب ديمتريوس عندما يدرك الحقيقة. وبما أن ليون يحتاج عمه الليلة، فيستحسن بها أن تترك ديمتريوس في مزاج هادىء.

قبل أن تسير إلى غرفتها، تركت الباب مفتوحاً قليلاً ثم أطفأت الأضواء. أملت ألا يبقى ليون مطولاً.

تمددت الكس جانبياً على السرير لكي تتمكن من مراقبة الرواق. قررت عدم تبديل ملابسها فهذا يتطلب منها كل الثقة التي تستطيع استجماعها لمواجهة ديمتريوس.

أياً تكن العواقب، ستغتبط أمها عندما تتصل الكس بها لتفيدها أن الحقيقة أعلنت في النهاية. ولا بد أنها ستشعر هي أيضاً بالارتياح، لكن هذا يعني عدم رؤية ديمتريوس ثانية.

سيعود زيوس إلى عليائه تماماً كما في كتاب التاريخ، هذا الكتاب

الذي لن تفتحه مجدداً. أراحت رأسها على ذراعها فيما الدموع الساخنة تحرق عينيها.

***

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

٩ ـ الابن سرّ عمه

ـ ما رأيك إذاً، عماه؟

نهض ديمتريوس عن السرير لمواجهة ابن أخيه: «هل ستصدقني إذا ما قلت لك؟».

أجاب ليون بالموافقة.

نظر ملياً إلى ابن أخيه الذي غدا رجلاً خلال السنة الماضية. لم يعلم ديمتريوس متى حصل هذا التحوّل بالتحديد ولكنه أحب كثيراً ما رآه فيه.

وضع يداً على كتفه: «أنا فخور بك».

ونحنى ليون حنجرته: «شكراً».

وهمس قبل أن يعانق ديمتريوس بقوة: «آسف لمقاطعتك أنت والكسندرا على هذا النحو. لم أكن أملك أدنى فكرة».

ربت ديمتريوس على كتفه مرةً أخرى ثم تراجع إلى الوراء: «سأخصص لها ما تبقى من الليل».

ـ سأنسحب إذاً الآن. عندما ألوح بيدي غداً وأنا على صهوة الجواد، فإنني ألقى التحية عليك وعلى أمي.

ـ ستكون غارقة في دموعها، سأجعلهم يسجّلون المهرجان لكي تتمكن من تأمل دخول ابنها المنتصر إلى تيسالونيكا.

أدار ليون عينيه بعيداً.

لم يعد ديمتريوس يعلم ما إذا كان يفترض به أن يفهم ذلك كدليل على أن ابن أخيه قد اتخذ قراره. لكن الوقت ليس مناسباً الآن لمعالجة كل المشاكل.

كانت الكسندرا على وشك إطلاعه على شيء مهم، ولديه حدس مريب بأنها ستترك عملها للزواج بالرجل الذي أنقذها.

لا يستطيع ديمتريوس تقبل ذلك. فما تشعر به نحو منقذها، كان تقديراً وعرفان جميل ولا علاقة له بهذا النوع من الحميمية الذي استمتع بها ديمتريوس خلال الأيام الأخيرة. إن علاقتهما تربط الروح والجسد معاً، إنها ثقة يستحيل تحطيمها... إنه حب يستحق أن يموت المرء من أجله.

لقد اكتشف ليونيدس مبكراً ما وجده ديمتريوس الآن. تاق للتعبير عن مشاعره فغادر الغرفة فور إختفاء ليون وسار باتجاه باب الكسندرا المجاور. لدهشته، كان بابها مفتوحاً، فدفعه قليلاً.

كان النور القادم من الرواق كافياً ليراها مستلقية على السرير وهي مرتدية ثيابها. لا بد أنها مرهقة كثيراً لتنام هكذا. أصغى إلى تنفسها، فتبيّن له أنها غارقة في سبات عميق. بعد كل ما فعلته لإنجاح المهرجان، سيكون من الظلم إيقاظها الآن. خشي الوقوف هناك مدة أطول فغادر إلى غرفته وأقسم على أنها ستكون الليلة الأخيرة التي ينام فيها وقد تملّكه هذا الشوق المتعطش إليها...

بعد ساعات، كان ستافروس الجذل يلقي بنصف دزينة من الجرائد على الطاولة أمام ديمتريوس الذي يجلس أمام التلفاز لمشاهدة العرض.

ـ باليابانية، الإنكليزية أو اليونانية، إنها القصة نفسها التي تتصدّر صفحات كل الجرائد الرئيسية.

هز رأسه مضيفاً: «الآنسة هاملتون نابغة حقيقية».

أسعده أن يكنّ ستافروس تقديراً عالياً للسيدة بانداكيس المستقبلية.

تناول الصحف الأثينية وبدأ بالقراءة: «إنه المهرجان الأكثر أهمية الذي يُعقد في مقدونيا. فهو لم يستقطب السكان المحليين وحسب بل توافد الناس إليه من مختلف أقطار الأرض ومن كل الجنسيات.

وضع ديمتريوس الصحيفة جانباً ونحىّ حنجرته: «أنت محق يا ستافروس فلقد ابتكرت شيئاً لن ينساه الناس».

ـ لقد حظيت باهتمام رئيس الوزراء.

ـ هذا ما قاله «ڤازو».

ـ هل تظن أنها سترحل عنك لشغر وظيفة أخرى؟

ـ آمل ألاّ تفعل، لأنني سأطلب يدها فور انتهاء المهرجان.

عندما لم يقل ستافروس شيئاً، أدار ديمتريوس رأسه للنظر إلى مستشاره الذي أخرج محرمة من جيبه. وعبس: «هل أنت بخير؟».

ـ نعم، نعم طبعاً.

ـ ولمَ إذاً لا تقول شيئاً؟

ـ أعتقد أنني تأثرت.

وابتسم ديمتريوس لنفسه: «لم أدرك بأن ذلك ممكن».

ـ تهانينا يا بني.

ـ أبقه سراً.

ـ ومنذ متى نعلن اتفاقاً قبل أن يُبرم؟

ـ الإبرام هو مرحلة عملية ستافروس. فمساء أمس، اكتشفت أنها تعتقد أنها مغرمة بشخص آخر.

ـ حسب معرفتي بك، ستتخطى تلك المشكلة الصغيرة. آه، لقد بدأ الاحتفال.

وجلس ستافروس على الأريكة إلى جواره ليشاهد الحدث. شعر ديمتريوس بقشعريرة عند انطلاق الأبواق ورؤية ابن أخيه يقود زمرة من الجنود المصطفين في الشارع تحت السماء المشمسة. بدا ليون مهيباً على

صهوة جواده، فاغرورقت عينا ديمتريوس بالدموع. تحوّلت أفكاره دون وعي منه نحو الكسندرا التي تسللت باكراً جداً قبل أن يتمكن من التحدث إليها.

لو لم تعمل معه أبداً، لما كان هناك من مهرجان في تيسالونيكا، ولما أُعدّ هذا الزي خصيصاً له. كما لن يجد أي لذة في النهوض لمواجهة الحياة لأنها لن تكون جزءاً منها.

إن التفكير بالحياة من دونها لا تطاق.

ـ أينما كان أخوك، آمل أن يرى الصبي الجيد الذي أنجبه. ستكون آنانكي أكثر النساء فخراً في كل أنحاء تيسالونيكا اليوم.

خلال الساعتين اللاحقتين، بقيا مسمرين لمشاهدة العرض ويكى ديمتريوس لفرط افتخاره بابن أخيه خلال إلقائه كلمة أمام الحشود.

عندما انتهى، تقدم رئيس الوزراء من ليون وطلب منه أن يجثو لكي يتمكن من وضع إكليل من الغار على رأسه وصرخت الحشود إستحساناً.

بدا صوت ستافروس مخنوقاً عندما قال: «لا أعتقد أن هذا مدرج ضمن السيناريو الأصلي».

ـ إنها بادرة جميلة من رئيس الحكومة.

ـ طلب منك إنجاز كل الأعمال فحققت عروسك نتيجة فاقت توقعاته أضعافاً.

ـ سأجدها ستافروس. سنلتقي على متن الباخرة.

غير أن المخططات تغيّرت فبعد أن أمضى ديمتريوس نصف ساعة من الوقت وهو يذرع الرصيف أمام السفينة، اتصلت الكسندرا لتقول إنها ستتأخر لسبب ما يتعلق بمجموعة من المترجمين.

كانت خيبة ديمتريوس على أشدّها فأدرك استحالة المضيّ على هذا الشكل مدة أطول. كانت مشاعره مضطربة تماماً، فاعتذر من المشاركين في الغداء ثم نادى سائقه ليقلّه إلى المكتب. لقد وصل إلى نقطة تجعله

عاجزاً عن البقاء دون الكسندرا فلا شيء غيرها يهمّه.

لمحت الكس قامته المديدة فيما كان يدخل صالة الاستقبال. كان المكان أشبه بمتجر للزهور حيث غصّ بمئات الباقات من الزهور. ولكن ديمتريوس بدا غافلاً عن ذلك فاتجه رأساً إلى مكتبها. انتفض قلبها لمرآه. كان يرتدي بزة حريرية رمادية وقميصاً أبيض ناصعاً ما جعله يبدو رائعاً. سألته فور وصوله: «ما الأمر؟».

ـ ذكريني أن أقول لك أمراً ما أن نصبح وحدنا. والآن، مع مشاركة ليون في المهرجان، لن يكون علينا أن نقلق من أن تتم مقاطعتنا مجدداً.

لو لم يكن لديها اعتراف تدليه الليلة، لحملت كلماته إليها الفرح الأعظم الذي يمكنها أن تتصوره.

ـ كان ابن أخيك رائعاً اليوم.

وهمس: «هذا رأيي».

ـ كان مثيراً سماع كل تلك الاطراءات عن العرض وعن الدور الذي لعبه ليون.

تعلقت نظرته بنظرتها: «عندما أريتني رسم تيسالونيكا خلال القرن الثاني عشر كنت واثقاً من أنه سيلقى النجاح».

كان ذلك أملها وحلم ديمتريوس.

ـ لقد أرسل رئيس الوزراء تلك الباقة الكبيرة من الزهور عند الزاوية.

وقف ديمتريوس وراءها فيما فتحت البطاقة لتريه إياها.

عندما لمسها، كاد يغمى عليها.

ـ كيف لي أن أشكره؟

ـ هل تودين قبول وظيفة لديه في لجنة تنظيم المهرجانات؟ فهذا ما يرمي إليه.

... وأبقى في اليونان قريبة منك مع علمي بأنني لن أكون أبداً في جوارك ثانية؟؟

لكنها ردّت بصوت عال: «يشرّفني ذلك ولكن لا».

ـ في هذه الحالة، يمكنك إرسال ملاحظة شخصية له. سأتأكد من إرسالها مع بطاقة تعريف من المؤسسة. سنبعث بطاقة إلى كل مساهم، سيسرّهم ذلك.

ـ سأكتبها قبل أن أترك المكتب اليوم. هلا أرسلنا الزهور إلى المستشفيات؟

أومأ: «سيتكفل الموظفون بذلك».

ـ إذاً، يجدر بي الرد على الرسائل الالكترونية.

ـ عمي؟

كانت الكس قد بدأت تعتاد على صوت ليون.

نظرت من فوق كتفها لترى ديمتريوس يعانق ابن أخيه، ثم حان دورها لتهنئته.

لم يكن وحيداً فمايكل وأصدقاؤه دخلوا وراءه ولكن لم يكن لياني ومرلينا أثر.

بدأ ليون من دون مقدّمات: «لقد حصل تغيير في المخطط. وإذا كنت موافقاً، فسآخذ الشباب إلى جبل آتوس. سنعود مساء غد لحضور مسرحية، إنهم يعرضون «فيدرا»».

لم يفضح ديمتريوس مشاعره ولكن الكس كبحت لسانها لئلا تتفوه بأي كلمة، فخيبة أملها لقرار ابن أخيه سبب لها هبوطاً حاداً في معنوياتها.

قال ديمتريوس بهدوء يُحسد عليه: «يناسبني ذلك فجبل آتوس مكان فريد».

نظر مايكل إلى الكس: «عندما أخبرنا ليون عنه أمس، سألناه إذا كان باستطاعتنا أن نزوره معه».

همس ليون: «ثمة مشكلة واحدة فقط فلياني يود الانضمام إلينا ولكن لا ينبغي أن نترك مرلينا وحدها».

وقبل أن يقول ليون المزيد، أدركت الكس ما ينبغي أن تفعله. وهذا يعني أنّ اعترافها سيتأجل مدة أطول ولكن لم يكن لديها خيار آخر.

ـ سأبقى في الفندق معها هذا المساء ليون. إنه مكان رائع وأنا لم أدخله بعد. كما أنه أقل ما يمكنني فعله بعد اهتمامك بأصدقائي.

ـ شكراً لك آنسة هاملتون.

ـ اسع، سأتصل بياني وأخبره أن يحضر مرلينا إلى هنا. يمكنها أن تتجول معي.

توجهت إلى المكتب لإجراء الإتصال من دون النظر إلى ديمتريوس فتبعها مايكل: «لقد سُجلّت تضحياتك، ولكن لا تنظري الآن يا عزيزتي فسيدُك ليس مسروراً بتاتاً».

ـ أنت لا تفهم مايكل وليس هناك وقت للشرح.

طرح مايكل سؤاله: «ما الذي يجري بينكما؟».

ـ لا شيء.

ـ إذاً، لِمَ تبدين وكأن قلبك منفطر؟ لِمَ سمحت للأمور بأن تصل إلى هذا الحد؟

أغمضت عينيها بقوة لتكبح الدموع: «لأنني حمقاء».

ـ يؤسفني أن تتألمي بشدة، الكس. أتمنى لو أن هناك ما أفعله.

ـ لقد حذرتني أنت وأمي. وفور استطاعتي، سأقول له الحقيقة. حاولت مساء أمس إلا أن ليون قاطعنا. كنت سأقول له هذا المساء ولكن في ظل هذه الظروف، سأنتظر مدة أطول.

ـ سأرحل وعندما أعود في الغد، سنجري حديثاً مهماً. تذكري ذلك.

لكن مايكل لم يعد، فالشبان الآخرون كانوا غارقين في تأمل الطبيعة وأرادوا رؤية كل أنحاء جبل آتوس ما يعني أن عليهم قضاء ليلتين بعيداً. أما الكس التي تحمّلت مسؤولية مرلينا، فقد أجبرت على إرجاء حديثها مع ديمتريوس لأربع وعشرين ساعة أخرى.

بعد أشهر من مرافقته باستمرار، بدت الأيام القليلة التي أمضتها من دون رؤيته، الأيام الأطول والأوحش في حياتها. وفيما كان ديمتريوس يلبيّ دعوات الغداء والعشاء مع الشخصيات الهامة تجولت هي ومرلينا في أرجاء المدينة.

بعد ظهر الجمعة ولدى عودة الشبان، استقلت الكس سيارة أجرة إلى الفيلا. ستذهب إلى غرفة الضيوف، للاستعداد لعشاء مميز مع شخصيات يونانية مرموقة بمناسبة اختتام المهرجان. ونهار السبت سيكون كل شيء قد انتهى.

لقد أوضح لها ديمتريوس في رسالته المقتضبة باكراً أن عليها مرافقته، وأقفل الخط بسرعة. ما من شك في أنه يعتزم الاختلاء بها ليتمكنّا من إنهاء محادثتهما. كانت الكس تخشى ما سيحصل ولكن عليها أن تكون شاكرة لأنها حظيت بالفرصة لأداء التزاماتها المهنية قبل أن ينهار عالمها. وفقاً لسيريلدا التي حيّتها بحرارة وأحضرت إلى غرفتها فنجاناً من الشاي، لم يعد أحد بعد إلى المنزل، ولا حتى آنانكي، ولكنها تتوقع عودة ديمتريوس في خلال ساعة. بعد تناول الشاي الساخن، توجهت إلى الحمام لغسل شعرها. شعرت بتحسن ولكنها لم تجرؤ على المكوث طويلاً. يتوقع ديمتريوس أن تجهز حوالى السادسة والنصف لذا لن يكون أمامها متسع من الوقت لتجفيف شعرها وتصفيفه كالعادة قبل أن ترتدي بزتها الرمادية الرهيبة مجدداً. لفّت نفسها بمنشفة سميكة وتركت شعرها المبلل منسدلاً على كتفيها، ثم اتجهت نحو الغرفة بحثاً عن ملابس داخلية. تجمّدت في منتصف الغرفة حيث وقف رجل أسمر بدين في بذلته الزرقاء عند الباب الموصد يراقبها..

إنه جورجيو.

أحكمت لفّ المنشفة حولها فيما تأمّلت عيناه جسدها بتباطؤ وقال: «كنت محقاً فأنت الفتاة المثيرة التي كبرت».

أسرعت الكس نحو الحمام مرعوبة لأن أسوأ كوابيسها بدأ يتحوّل إلى حقيقة، لكنه سبقها مانعاً إياها من إغلاق الباب في وجهه. وقف في العتبة حاجباً المخرج. ورغم أنه لم يكن بطول ديمتريوس ومتانة بنيته، إلا أنه كان رجلاً ويستطيع التغلب عليها بسهولة. أجابت: «وأنت لا تزال الرجل المريض نفسه الذي لن يضاهي ابن عمه أبداً ولا حتى في الأبدية!».

واختفت الابتسامة عن وجهه: «أنت ذكية جداً وأعطيك شهادة بذلك. يبدو أن ديمتريوس كان مغفلاً للمرة الأولى في حياته وهذه سابقة نظراً لأنه القريب الذي لا يخطىء».

صرخت به: «أخرج من هنا».

ـ لا أعتقد ذلك.

ـ ماذا ستفعل؟ ستنهي ما بدأته أول مرّة قبل أن يفقدك الوعي؟

هز كتفيه: «لو كنت ثملاً، لاستسلمت للإغراء. لكنني أجبرت على التخلي عن تلك العادة منذ وقت طويل. أظن أن ما يجب أن نفعله هو ترقب وصول ديمتريوس».

صرّت على أسنانها: «ماذا تريد؟».

ـ أن أرى التعبير الذي سيعلو وجهه عندما يكتشف أن البريئة الطيبة التي حمّاها بشهامة ليست سوى مومس تستغل جسدها المغري... لقد أغريتني حينذاك. بالطبع، لم يصدقني ديمتريوس ولكنه سيفعل الآن، وعندئذٍ سيصبح موضع سخرية لأنه سيدرك أنه ليس بالمعصوم عن الخطأ كما كان يحب والدي أن يدعوه، فقد غفل عن نواياك المبيّتة.

يا الهي! هل يحمل كل أفراد عائلة باناكيس مثل هذا الغلّ؟ قد يلام العم سبيروس على غيرة جورجيو من ديمتريوس لكنّ الضرر حصل منذ زمن بعيد ولا يمكن لألكس أن تتصوّر الطريقة المناسبة لعلاجه.

ـ قد لا تصدّق ذلك جورجيو، ولكنني عقدت العزم على إطلاع ديمتريوس على الحقيقة هذا المساء. لِمَ لا تدعني أرتدي ملابسي؟ عندما

يأتي، سنجلس نحن الثلاثة لحل هذه المسألة وليس على أحد أن يعلم بالأمر.

ترددت ضحكته في أرجاء الحمام وقال: «لا عجب في أنه خدع! لديك عقل حكيم ولسان مغلّف بالمخمل. كدتِ تنالين مني لكننا سننتظر هنا حيث يمكنه أن يرى ماذا تخبئين تحت تلك الملابس. كان عملاً محترفاً».

امتلأت عيناها بالدموع: «لقد كان عمل صديق علم بمبلغ حبي لابن عمك ورغبتي في البقاء إلى جانبه».

نظر رأساً إليها وأردف بسخرية: «كنت مراهقة حينذاك. ما الذي يمكن أن تعرفيه عن الحب؟».

اهتز جسمها من الألم: «لقد أنقذني منك وكان لطيفاً معي. كانت تلك بداية للحب».

وانهمرت الدموع على وجنتيها وساد صمت أعقبه طرق ديمتريوس على باب الحمام: «الكسندرا؟».

قفز قلبها في صدرها فتمتم جورجيو: «هيا! قولي له أن يدخل».

ونادى ديمتريوس مرة ثانية.

ـ أصغي إليه. إنه متشوّق لرؤيتك.

هزت رأسها وتوسّلته: «لا تفعل ذلك. ستندم طيلة حياتك».

ـ لقد سبق أن ندمت على ميلادي، فماذا هنالك بعد؟ هيا أخبري محبوبك أن بإمكانه الدخول أم أنك تريدينني أن أدعوه بالنيابة عنك؟

كانت هالكة في كلا الحالتين فقالت في سرها: ديمتريوس، سامحني!

وصاحت بصوت متقطع: «أ... أدخل!».

فتح الباب وانغلق: «آمل أن تكوني مستعدة لأننا سنظهر على العشاء كما أنني خططت لمفاجأة لك».

ارتسمت ابتسامة بطيئة على فم جورجيو قبل أن يخرجها من الحمام أمامه: «يبدو أن العقول الذكية تتشابه يا قريبي، فالآنسة هاملتون حضّرت مفاجأة صغيرة لك أيضاً».

كان ديمتريوس يرتدي بذلة رسمية سوداء وقد وقف في منتصف الغرفة عندما واجهت عينا الكس نظراته، لم يتحرك بل لم يرف له جفن ولم تنقبض أي عضلة في وجهه.

عندئذٍ تبيّنت أن الشحوب يزحف إلى فمه الجامد بعد أن انطفىء النور في عينيه اللتين بدتا كفجوتين سوداوين.

شعرت بقلبها يموت. كان جورجيو أول من كسر الصمت: «قبل أن تخطىء برميي خارجاً وبتحذيري من تخطي عتبة بيتك مجدداً، يجدر بك الإصغاء إلى من أغوته سابقاً الآنسة هاملتون. ما أحاول فعله الآن يا قريبي هو إنقاذك منها كما خلصتني منها ذات مرة. كانت طبعاً أصغر بتسع سنوات حينها لكنها كانت تعرف قدراتها لتتلاعب بأصغر آل بانداكيس الذي لم يستطع رفع نظره عنها خلال العرض! كيف لي أن أرفض اقتراحها التجول في معرض الحرير؟».

دافعت الكس: «طلب مني جدي أن أقوم بذلك إكراماً لوالدك. كانت تلك مهمتي وكنت أتقاضى راتباً لقاء ذلك. لو كان يعلم بأنك ثمل لما سمح لي بالاقتراب منك!».

وارتجف صوتها وهي تتذكر الألم، فهمس جورجيو: «هذا ما تدّعين! على أيّ حال، نحن نعلم كيف انتهى الأمر ولكن ما لم نعلمه هو أنها قررت بأن تسعى وراء منقذها الذي هو أنت ديمتريوس. ولكن مخططها كان محبوكاً أكثر لأنها رغبت هذه المرة في اصطياد الابن المفضل».

أغمضت الكس عينيها بضيق حين أضاف: «اختفى الشعر الأشقر وابتكرت هوية جديدة كاملة خدعتنا كلينا. لم تشأ يا ديمتريوس إحراج

موقفي أمام العائلة لأنك رجل شريف لذا قررت أن أبادلك بالمثل. عندما أغادر هذه الغرفة، لن يعلم أحد بأنها كادت تجعلك مغفلاً أيضاً. لنأمل أن تضعي في المستقبل نصب عينيك شيئاً آخر غير عائلة بانداكيس يا آنسة هاملتون. قال لي أخي «فازو» إن رئيس الوزراء معجب بك وإذا أمكنه رؤية ما أنظر إليه الآن تحديداً، فسينتهي بك الأمر شريكة فراشه».

أعمى الغضب الكس فصفعته بقوة على وجهه، ولقد تاقت للقيام بذلك منذ تسع سنوات.

أومأ لكليهما قبل أن يغادر الغرفة. وساد صمت طويل في الغرفة فيما جمّدت نظرة ديمتريوس القاتمة الدم في عروقها.

ـ أرجوك، أعطني فرصة. أستطيع شرح كل شيء.

ـ لا أحتاج إلى تبرير. سأنتظرك في السيارة. لا تتأخري.

كانت ترتعش بقوة وأحسّت بأنها تكاد تفقد وعيها. تصبّب العرق البارد من جسمها وامتلأ فمها بطعم مالح: «لا، لا أستطيع الذهاب إلى أي مكان الآن».

هرعت الكس إلى الحمام لتتقيأ.

شعرت بوجوده على العتبة فكان الوضع مذلاً بما يفوق التحمُّل.

ـ سأرسل لك سيريلدا. خذي أغراضك من المكتب قبل عودتي إلى نيويورك، نهار الأربعاء. ستعطيك شارلين مغلّفاً يحوي مكافأتك ومستحقاتك.

***

ـ عمّاه؟ ما الذي تفعله هنا على هذه القمة برفقتي؟

كانا يجلسان معاً على كومة أمام القصر الأثري المشرف على الغابة. قبض ديمتريوس على حزمة من الأعشاب الطرية وقال: «ظننت ذلك واضحاً».

ـ قد يكون كذلك، لكنك مغرم بها وينبغي أن تكون معك الآن كما أن

المهرجان لا يزال جارياً.

- اليوم كان الختام وڤازو يتولى الإدارة، كما أن ستافروس يستطيع تولي أي مشكلة طارئة.

- تقصد الكسندرا، أليس كذلك؟

أغمض عينيه بقوة من الألم وهمس أخيراً: «لا، لقد نحيتها عن كل مسؤولياتها».

فأدار ليون رأسه بحدة نحوه وعقد حاجبيه: «لا يمكنها أن ترفض الزواج بك!».

فصرخ ديمتريوس: «لم تحظ بهذا العرض».

انتصب ليون واقفاً ثم حدّق في عمه: «يا إلهي، أنت لم تطردها».

- بلى وأفترض أنها الآن في طريقها إلى نيويورك.

هز ابن أخيه رأسه: «لدي فقط سؤال واحد. لِمَ؟».

- لا أريد الكلام عن ذلك.

وبدا ابن أخيه غاضباً: «ولمَ إذاً جررتني إلى هنا؟».

فوجىء ديمتريوس فقال: «أريدك أن تفهم لما كان هذا المكان مهماً لي ولوالدك».

وأعلن ليون: «لكن بإمكانك القيام بذلك في وقت آخر».

يبدو أن طباع ابن أخيه الدمثة قد اختفت: «لم لا تقر ولو لمرة في حياتك بأنك تحتاج لشخص تعترف له؟».

بدوره، وقف ديمتريوس قلقاً من تغيُّر الموضوع، فلقد مكثا هنا طويلاً وقد حان وقت العودة إلى النزل. واجهه ابن أخيه من دون أن يطرف له جفن: «هذا غريب، أتعلم؟ لقد كنت موجوداً طوال حياتي للإصغاء إلى مشاكلي ولكنك لا تخبرني أبداً عما يشغل بالك».

- ليون!

فدافع ليون عن نفسه وقد تلوّنت وجنتاه: «إنها الحقيقة! تقول إنك

تريدني قربك وإنك تريد مني أن أعمل معك، ولكن إذا لم تكن قادراً على فتح صدرك لي بشأن المرأة التي تحب، فعندئذ، لا فائدة تُرجى من أي شيء، أليس كذلك؟».

وفيما كان ديمتريوس يراقب ليون وهو يبتعد، بدأ يدرك أن ابن أخيه أطلعه على ما تاق لسماعه فأردف عالياً: «الكسندرا كذبت علي».

جمد ليون في مكانه: «إذا فعلت، فلا بد أن لديها سبباً وجيهاً».

تبعه ديمتريوس مذهولاً من شراسة ليون في الدفاع عنها: «عندما تقدمت لنيل وظيفة في الشركة في نيويورك منذ أربع سنوات، قدمت نفسها على أنها امرأة في الثلاثينات من عمرها بملامح عادية وشعر بني بينما هي في الحقيقة. . . . ».

واسترجعت عيناه صور جسدها الممتلىء وساقيها الطويلتين الرشيقتين التي لم تنجح المنشفة في تغطيتهما. كانت رائعة لدرجة أنه يحبس أنفاسه لمجرّد استعادة صورتها في ذهنه.

حثّه ليون على الكلام: «أجل؟ في الحقيقة، ماذا؟؟».

وفرك ديمتريوس صدره بشرود: «إنها في الخامسة والعشرين، عيناها خضراوان وشعرها أشقر».

نظر ليون إليه من فوق كتفه وقد لاحت البسمة على شفتيه: «حقاً؟ ومنذ متى كان الجمال خطيئة؟».

- إنها ليست كذلك ولكن العيش مع كذبة طوال هذه المدة هو الخطأ بعينه.

- الكسندرا امرأة ذكية ولا شك في أنها ودّت أن تبدو جدية للحصول على الوظيفة. أشك في أنها كانت لتعجب السيدة لانداو لو أظهرت صورتها الحقيقية.

وأصرّ ليون: «أليس كذلك؟».

أدرك ديمتريوس ما يرمي إليه ابن أخيه فقال: «إنها مذهلة».

ـ وما السوء إذاً؟ لِمَ تطرد امرأة غدت يدك اليمنى؟ ألأنها أصغر سناً مما اعتقدت. . . وجميلة؟

فاجأه تحليل ابن أخيه المنطقي فرد عليه: «تطرد عندما تكتشف بأنها كانت تملك مخططاً للإيقاع بك في فخ الزواج وهو يعود إلى تسع سنوات».

ـ لقد بلغنا شيئاً ما. هل تقابلتما منذ تسع سنوات؟ كيف؟

تردد ديمتريوس لبرهة ثم استعاد تفاصيل تلك الليلة في نيوجرسي. أضاء وجه ليون: «إنسَ جورجيو وما قاله. كانت مغرمة بك طوال هذه الفترة. إذا ما أحبتني امرأة بهذا القدر، فسأكون أسعد رجل على قيد الحياة».

لعلهما يتكلّمان من وجهتي نظر مختلفتين: «ألا يدعو كلامك للسخرية؟».

ـ ماذا تعني؟

ـ أنت تخطط لدخول الدير.

ـ لقد غيّرت رأيي، عماه. فرحلتي الأخيرة مع الشبان جعلتني أعي أنني أهوى الأعمال الفنية ذات الطابع الديني فقط. لقد فكرت بأنني إذا أنهيت دراستي، يمكننا إنشاء شركة تصنّع تذكارات دينية مصنوعة يدوياً. تكلمت مع بعض الباعة في المهرجان وهم يدّعون بأن هناك سوقاً عالمياً ضخماً لهم لو وجدوا الموزع المناسب.

بعد توافقهما على ذلك، شرعا بهبوط المنحدر وترك ديمتريوس ليون يسترسل في الكلام فبدت كلماته موسيقى عظيمة عقبت أصواتاً مزعجة.

إن الكلام مع ليون عن الكسندرا قد أخرجه من حال الغيبوبة التي كان يتخبط فيها. قال ديمتريوس: «هل أخبرت أمك الأنباء؟».

ـ فور عودتنا غداً إلى المنزل.

وتأوه ديمتريوس، فمن دون الكسندرا، لم يكن يملك أي فكرة تساعده على قضاء الليل بمفرده.

* * *

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

١٠ ـ أكبر من الحياة

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساءً حين وصلت الكس بسيارتها المستأجرة إلى موقف نزل داديا. بمساعدة مايكل، وجدا مصففاً يتكلم الإنكليزية أعاد لشعرها لونه الأشقر الطبيعي، ثم اشترت بعض الثياب الجديدة، منها الشورت الكاكي اللون والقميص الأبيض اللذين كانت ترتديهما فتبقى لها وقت قليل للحاق بالرحلة الأخيرة التي تقلع إلى الكسندروبوليس.

لقد أمرها ديمتريوس بالعودة إلى نيويورك ولكن لا يمكنها ترك اليونان قبل أن تمضي نهاراً في الغابة حيث عرفت السعادة بقربه. كانت تلك هي طريقتها الخاصة في توديع أحلامها. لم تكن قد حجزت غرفة فقررت أن تستعمل اسم ديمتريوس للمرة الأخيرة وإذا فشلت فستبقى في الموقف وتنام في السيارة طوال الليل. غداً صباحاً، ستتسلّق إلى المرصد وتعود في الوقت المناسب لاستدراك رحلة العودة إلى تيسالونيكا. وما إن تصل إلى المطار حتى تستقل طائرة تحملها عبر البحار إلى نيويورك.

عندما دخلت النزل، لم تجد أحداً في مكتب الاستقبال. ضربت الجرس براحة يدها فحضر الموظف على الفور من صالة الطعام. أومأ لها ولكنها أدركت أنه لم يتعرّف عليها فقد بدت وكأنها عادت إلى الحياة في جسم آخر. وقبل أن تتمكّن من سؤاله، لوّح بيده قائلاً: «ما من غرف،

فجميعها محجوزة بسبب المهرجان».

ـ أنا الكسندرا هاملتون، سكرتيرة كيري بانداكيس؟ جئت معه منذ بضعة أيام!

أذهله قولها فقال: «نعم؟ لحظة واحدة من فضلك».

تناول الهاتف وتكلم مع أحدهم باليونانية. حمداً لله على نجاح خطتها! فبعد ليلة من الأرق ونهار شاق، كانت الكس شديدة الإرهاق إلى حد الاستسلام. وضع السماعة جانباً: «لو انتظرت خمس دقائق، فستكون غرفتك جاهزة».

ـ شكراً جزيلاً، سأسدد الحساب.

ـ لا بأس فلقد تم تسوية ذلك.

ـ ولكنني أصرّ على الدفع.

وقعت شيكاً بقيمة مئتي دولار وتركته على المكتب. أومأ ثانية: «هاك مفتاحك. الغرفة رقم عشرين في نهاية الممرّ».

ـ سأبحث عنها.

استقلت السيارة ومرت بسائر الأكواخ إلى أن وصلت إلى الأخير وارتاحت لمرأى النور في الغرفة. ترجلت من السيارة وأخذت حقيبتها، ثم فتحت الباب ودخلت وهي تجر الحقيبة وراءها. أقفلت الباب بضربة من قدمها. عندئذٍ، رأت الرجل الذي سكن أحلامها سنوات عدة يخرج من الحمام مرتدياً ثياب النوم. همست مصدومة: «لا أصدّق ذلك».

التحمت نظراتهما كما لو أن تياراً كهربائياً يصلهما ببعض. خطر لها أنّ زيوس كما يحلو لها أن تسميّه قد نفاها إلى أقاصي الدنيا لكنها عادت إلى جبال الاولمب، مكانها المفضّل، مستغلة اسمه للدخول ليس إلاّ.

قالت بصوت مضطرب: «بعض الصدف تتحدى المنطق. لا ألومك إن ظننت أنني حمّلتك تكاليف الغرفة. إذا اتصلت بالموظف فسيخبرك أنني تركت له مالاً. عذراً على تطفّلي».

كان على الكس أن تغادر فاستدارت ولكن ديمتريوس وصل إلى الباب قبلها ومنعها من الرحيل. لم تعرف من قبل أحداً يتمتع بهذه الخفة في الحركة.

بعدما أوصد الباب، التقط حقيبتها بسهولة ووضعها على السرير الإضافي. عندما أطفأ النور، لم يبق سوى المصباح المجاور للسرير مضاءً. تراجعت نحو أحد السريرين وجلست على طرفه إذ لم تعد ساقاها تقويان على حملها. اقترب منها ويداه على ردفيه فبدا لها كأحد تماثيل زيوس.

هذا كان رأيها بديمتريوس: رجلاً فوق العادة، أكبر من الحياة. بدا صوته عميقاً وكأنه يصدر من هوّة سحيقة: «إلى متى كنت تنوين الاستمرار في الادعاء؟ لا مزيد من الأكاذيب الكسندرا».

- كنت ستعلم الحقيقة كلها لو لم يأت ليون إلى غرفتك في تلك الليلة.

وتناهى صوت أنفاسه إلى مسمعها كالحرير فأسدلت جفنيها وقد اضطربت لرجولته الفائقة. كيف يمكن تصور رجل من لحم ودم على هذا الشكل!

- ليون ليس هنا الآن. لننه المسألة برمتها.

بقي رأسها محنياً: «كل ما اتهمني به قريبك صحيح سوى أمر واحد. كنت فتاة بريئة في السادسة عشرة لا تعرف كيف تجذب رجلاً أكبر سناً منها حتى لو حاولت ذلك. لكنني أذكر أمراً واحداً بشأن تلك الليلة هو خيبة أملي العميقة عندما طلب مني جدّي مرافقة جورجيو في جولة في المتحف بدلاً منك وربما شعر قريبك بذلك وهذا ما أغضبه».

وتكلم فأذهلها: «لم يكن هذا ليتطلب الكثير من الجهد منك فلقد كنت الأجمل بين شقيقاتك، بشعرك الذهبي الطويل. لقد جذبت عائلة من الرجال السمر فكل أبناء عمي أطروا عليك خلال العرض لذا فمن العدل

إنصاف جورجيو ومسامحته لأنك سحرته، ولكن كل ما فعله تلك الليلة عمل إجرامي. لقد رأيته يذهب معك فتنبأت بحصول مشكلة لذا عندما مرّ وقت طويل من دون ظهوركما، ذهبت للبحث عنكما».

واهتز جسد الكس لا شعورياً: «ماذا لو أنك لم تأتِ؟».

أفلت تأوهاً يائساً من حنجرته فتردد في الغرفة. لم تدر ما إذا كان ناتجاً عن غضب أو حرمان أو الإثنين معاً. فجأة، جلس ديمتريوس قربها وداعبت يداه شعرها وهمس بلطف: «ألوم نفسي على تلك الليلة. كنت أعلم أنه مدمناً يجب ألاّ يتجوّل معك بتلك الحالة. عندما أعدته إلى الفندق، انتظرته ليصحو وهددت بفضحه أمام أبيه. وأدرك جورجيو ما يعنيه ذلك فالعم سيبروس يثير الرعب في الجميع. كان ليحرم جورجيو من الميراث لو علم الحقيقة. عقدنا اتفاقاً في تلك الليلة بألا يقترب مجدداً من الكحول لئلا أطلع عمي. وفى ابن عمي بوعده وحصل على مساعدة وتخلص من الإدمان».

وقاطعته: «ولكنه يغار منك ويؤلمني سماع كلامه».

داعبت أصابعه شعرها: «أعلم. إنه عبء لا أتمنّاه لألد أعدائي».

واغرورقت عيناها بالدموع: «لأنك رائع جداً وما من أحد يضاهيك، ديمتريوس. أحبك كثيراً ولكنني أخطأت بتخييب أملك».

- ولِمَ فعلت ذلك؟

نهض عن السرير فأحست وكأنه هجرها: «لو أردت وظيفة بشدة، فلِمَ لم تكوني صريحة؟ كان بإمكانك أن تستغليّ اسم جدّك أمام السيدة لانداو وكنت سأتذكرك وأمنحك مقابلة شخصية».

- أدرك ذلك الآن. لكن في حينها، ظننتني سأحظى بفرصة أفضل لو بدّلت مظهري لكي تعطيني السيدة لانداو الوظيفة. ساعدني مايكل وكانت السيدة لانداو طيبة معي لذا لم أستطع الإقرار لها بما فعلت. بعد تعرضها لأزمة قلبية، وددت إطلاعك على كل شيء. أقسم لك ولكنك كنت شديد

الحزن لرحيلها وفكرت في التريث لبرهة. ولسوء الحظ، لم يأت الوقت المناسب.

ثم همست بقلق: «ديمتريوس؟ أسوأ ما أخشاه هو تدمير ثقتك بيّ. فلن يتبقى لي شيء من دونها».

ـ بالضبط.

ما الذي عناه؟ مسحت دموعها قائلة: «هل ستدع ما فعلته يحول دون ثقتك بحب أيّ امرأة؟».

واستلقى على السرير الآخر: «وهل يهم ذلك؟».

ـ ما الذي حصل وجرحك بعمق؟

وتحركت نحو السرير الآخر دون وعي منها وجلست قربه وقالت بصوت مرتجف: «أرجوك ديمتريوس».

مدت يدها لتلامس وجنته: «قل لي من فعل بك هذا؟».

اهتز جسمه الصلب: «ذات مساء حين كنت في الثانية عشرة من عمري، سمعت صوت أخي في رواق فيلا العم سبيروس. كان يتسلّل بعيداً ليتزوج آنانكي لأنها كانت تحمل طفله. وفي تلك اللحظة كرهتها».

أصغت الكس إليه محاولة من كل قلبها أن تفهمه: «حتماً ستكرهها عزيزي لأنه كان عالمك الوحيد وقد أخذته منك بعيداً».

عندئذٍ، أمسك ديمتريوس بيدها بقوة آلمتها ولكنه لم يكن واعياً لذلك فأفكاره شاردة في مكان آخر، وتابع:

ـ قال لي إنه لا يحبها وإنها حملت منه عمداً لكي تصبح فرداً من عائلة بانداكيس. توسلته ألاّ يتزوّجها ولكنه قال إنه مضطر لذلك فهي مسألة شرف.

وتوتر جسمه بعد أن اقتربا من الحقيقة ولكنها أحست بأن لديه المزيد فاستدرجته: «ما الذي قاله بعد؟».

ـ قال إن والدتنا تزوجت والدنا للسبب نفسه.

تأوّه بحزن وهو يتذكر كيف انفطر قلبه الذي كان فتياً حينها، فيما انتظرت الكس باقي القصة.

ـ حذرني ليونيدس من أن العديد من النساء سيسعين يوماً ما ورائي من أجل نقودي وسيحاولن الايقاع بي عبر حملهن بطفلي.

كم كان أخوه قاسياً فقد صدم صبياً بريئاً! سألته: «وماذا قلت له؟».

ـ أخبرته باستحالة ذلك لأنني لن أقيم علاقة مع امرأة قبل أن أتزوج بها.

وتسارعت أفكار الكس فيما استعادت ذكرى النساء اللواتي عرفهنّ ديمتريوس أو خرج برفقتهن. توقف قلبها عن الخفقان: «وهل وفيت بنذرك؟ هل هذا ممكن؟؟».

ارتفع صدره وهبط ثم قال: «نعم. كان هذا سهلاً فلم تغرني امرأة فوق قدرتي على الاحتمال. كنت سعيداً في وحدتي ولم أكن أدرك أن سكرتيرتي سرقت قلبي مني».

وأخيراً، أطلقت الكس نفساً كانت تحبسه ودفنت وجهها في شعره الكثيف: «آه عزيزي. لا أستطيع أن أصدّق بأنك لم تستسلم لإغراء إحدى النساء الجميلات اللواتي عرفتهن، لتلتزم بسكرتيرتك المتواضعة».

جذبها إليه: «شقراء كنت أم سمراء، فأنت لم تبدِ لي متواضعة إطلاقاً».

ثم تابع يقول: «عندما اهتممت بي طوال الليل وداعبت الشعر على جبيني، لم أعد أبالي بذلك اليمين أبداً. ولو لم يقاطعنا ليون، لما استطعت ضبط نفسي».

ابتسمت جذلى لشدة شوقها إليه وسمعته يضيف: «وددت حينها أن أحنث بيميني».

جمدت يداه فجأة وراح ديمتريوس يحدق إلى عينيها وبدا صوته أجش: «هل أقسمت اليمين نفسه؟».

قالت وهي تبكي: «عندما أنقذتني، وأنا في السادسة عشرة نذرت لك كل ما لديّ لأعطيه أو ما أتوق لمنحه لرجل. أنا مولعة بك وتسع سنوات هي فترة انتظار طويلة. عانقني كيري بانداكيس».

أخرس توسلها عندما عانقها بشوق. ولم تستطع منع نفسها من التأوّه لشدة فرحهابوجودها بين ذراعيه على هذا الشكل.

كانت تحلم بأن يحبها ولكن أن يحصل هذا في الواقع، هذا ما فاق قدرتها على التحمُّل.

ـ أنت حياتي وحبي إلى الأبد.

وأنطلقت ضحكته فيما دفن وجهه في شعرها الذهبي. وبعد لحظة صمت قال: «ستتزوج غداً صباحاً».

ـ هل ستتزوج فعلاً في الغد؟

أزاح بعض خصلات شعرها اللامع عن جبينها وقال: «أرى أن عينيك الخضراوين الجميلتين تلمعان».

ـ أتمنى لو أننا زوجان الآن.

وذكّرها بنبرة متوحشة: «أتظنين أنني لا أتمنى ذلك؟ لقد حصلت على إذن خاص. وإذا وافق الكاهن، فستتزوج في تلك الكنيسة الصغيرة في أسفل الطريق. وليون في داديا الآن يجري كل التحضيرات اللازمة».

ـ وهل ليون هنا؟

التقط ديمتريوس يدها مقبلاً إياها طويلاً وبقوة قبل أن يحرّرها ثانية. بدا مقطوع الأنفاس: «بعدما غادرت غرفة نومك، كان عقلي مشوّشاً وشعرت بالحاجة للخروج من الفيلا. جررته معي وطرنا إلى هنا، ثم أجبرته اليوم على الصعود معي إلى قمة الجبل. لقد كانت رحلة مثمرة لكلينا، تبادلنا فيها الأدوار بعدما أخبرني أن تواجده مع مايكل وأصدقاءه اقنعه بعدم اختيار حياة الرهبان...».

قاطعته: «ديمتريوس!».

وابتسم لتعبيرها عن فرحها بذلك فأكمل: «طلب مني إطلاعه عما جرى لي وانتقلنا من موضوع إلى آخر فاعترفت له بكل شيء».

ـ أحب ابن أخيك أكثر يوماً بعد يوم.

تأمل ديمتريوس ملامح وجهها وقال: «إنه مجنون بك أيضاً. فيما كنت استحم قبل قليل، رنّ الهاتف في غرفتنا وأجاب ليون. أخبره الموظف أن سكرتيرتي وصلت وأنها تطلب غرفة فقال له ابن أخي أن يعطيك المفتاح. عندما خرجت من الحمام، كان ليون في طريقه إلى الباب مع مفاتيح السيارة المستأجرة. سألته عمّا يجري، وأضاءت البسمة وجهه وقال إنه سيبيت في داديا الليلة لأن زوجتي المستقبلية ستدخل الغرفة في أي لحظة. أضاف قبل إغلاق الباب أنه سيتصل بأقرب كاهن لينظم لنا زفافاً بسيطاً وسيعود في الغد مع الثياب التي سنرتديها للزواج».

امتلأ قلب الكس فرحاً وألقت بذراعيها حول عنقه.

ـ عندما يكتشف الكاهن أنه سيزوّج أكثر الرجال نبلاً في اليونان، لن يدع أي شيء يحول دون إتمام ذلك. الآن أنا متحمسة جداً. أرقص معي، كيري!

ـ الآن؟

ـ نعم، كما فعلنا في تلك الليلة.

وعندما تعالى صوت الموسيقى نظرت إليه واتسعت عيناها لرؤية عضلاته المفتولة. حبست أنفاسها لوسامته وقالت: «ألم أخبرك أبداً كم أنت وسيم وجذاب؟».

ابتسامته الواسعة خطفت أنفاسها وقال: «تعالي إلي، أيتها المخلوقة الجميلة، أود أن أضمّك».

قال ذلك بصوت متعطش وفتح ذراعيه فارتمت الكس بينهما.

ـ أنا سعيدة جداً وأخشى أن أصاب بنوبة قلبية قبل الصباح. وعند

ذلك، لن أتمكن أبداً من معرفة ما. . . .

توقف ديمتريوس عن الحراك لأن جسده كان يهتز من الضحك وهزّها قليلاً: «آه الكسندرا! الحياة معك هي نعمة متواصلة».

ـ آمل ذلك ولكن ماذا لو لم أدر كيف. . . أعني.

ضحك بقوة أكثر: «ستتعلم معاً».

وأدارها حول الغرفة لم أضاف: «سنرزق بأولاد. . . سنحظى بكل شيء يا حبي».

وأطبقت عينيها بقوة: «أحب سماع ذلك ولكن هل تعتقد أنه سيفوق ما ندركه؟».

ـ لو كان صحيحاً ما تقولين، فسيكون أمامنا الحياة كلها لاكتشاف ذلك.

حدقت إليه وعيناها تلمعان: «الأمر مثير، أليس كذلك؟ ستبلغ غداً حداً لم يتجاوزه أيّ منا سابقاً».

أوقفها قائلاً بوجه رزين: «معك، كل شيء مثير. . . كنت أتمنى ألاّ تخوضي تلك التجربة المرعبة مع جورجيو ولكن. . . ».

عانقته بهدوء: «أعلم. أحب أن أفكر بأنها لعبة القدر. لقد توقف عن الشرب وتغيرت حياته».

فأومأ ديمتريوس: «أنت وأنا محظوظان لأننا نستطيع أن نكون لطيفين معه».

ضمها بين ذراعيه أكثر: «أرتعش عندما أتصوّر حياتي من دونك».

تعلّقت به: «لا أود حتى التفكير بذلك. عزيزي؟ لقد تعذبت آنانكي كثيراً أيضاً. ألم يخطر في بالك أنها ربما أحبّت أخاك كما أحببتك أنا في البداية؟ خصوصاً إذا كان ليونيدس وسيماً كزوجي المستقبلي».

وهمست في أذنه: «أنتم رجال بانداكيس تتمتعون بتأثير كبير على النساء، أنت تعلم ذلك».

جذب رأسها إلى الوراء بيده: «لم أفكر في ذلك من قبل ولكنني أفكر الآن جدياً في هذا الاحتمال».

ـ ما حصل لهما يحصل للعشاق في كل يوم. ولعله اختبر الكثير من العلاقات لذا كوّن رأيه بالنسبة لوالدتك.

ـ أنت تقرأين أفكاري ثانية. هناك ما أود القيام به قبل أن ينقضي الليل.

وقفت في مواجهته غير راغبة في الحراك مجدداً: «ماذا؟».

ـ اتصلي بأهلك واطلبي منهم الإذن بأن أسرقك بعيداً عنهم. وإذا أرادوا رؤيتنا متزوجين، فيمكننا السفر إلى باترسون لنجدد العهد أمام كل أصدقائك وعائلتك.

ما زالت الكس تكتشف المزيد من الأسباب لحبّه فأوضحت له: «لن يصدق والديّ أنني نلت مرادي أخيراً. ستجعلهما سعيدين لأني كنت أسبب لها القلق».

كان صدى ضحكته مفرحاً وكأنها تسمعه يناديها.

* * *

بنوتة بوظبي
www.liilas.com/vb3

الخاتمة

سمعت طرقاً على باب الكوخ: «الكسندرا؟ هذا ليون. آمل أن تكوني جاهزة لأن عمي ديمتريوس شديد العصبية وإذا لم نظهر في الكنيسة بعد خمس دقائق، فسيعود إلى هنا لرؤية ما يجري».

ـ أعطني دقيقة!

لم تستطع الكس أن تصدّق أنها منذ بضعة أيام، كانت تشعر بالألم لمراقبتها زفاف فتاة أخرى في المرج المجاور للنزل. وبأعجوبة ما، كان اليوم يوم زفافها وقد أتى ليون ليرافقها إلى تلك الكنيسة الصغيرة حيث ستتزوج الرجل الذي تحبه أكثر من الحياة نفسها.

بعد أن سوت الإكليل على رأسها، تأملت نفسها في المرآة، فوجدت أنّ الرداء الأبيض الذي ابتاعه ليون من البلدة يناسبها تماماً.

ـ الكسندرا؟

ـ آتية!

هرعت إلى الباب وفتحته فوجدت أن ليون قد أحضر معه وجهاً مألوفاً فصرخت: «مايكل!».

تراجع خطوة إلى الوراء ووضع كفيه أمام وجهه وكأنه يتقي سحرها.

ـ آه، توقف!

رمشت عيناه كما كان يفعل في الصالون وقال: «بعد أربع سنوات، تخلصت من الصباغ البني. لذا تحتاج عيناي وقتاً لتعتادا على جمالك».

صرخت قبل أن تحتضنه بقوة: «يسرّني وجودك».

قال ليون بابتسامة كبيرة: «ظن عمي أنك تودين وجود أحد أصدقائك معك اليوم».

لقد فهمها ديمتريوس أكثر مما تفهم نفسها. إن حبها له لا يعرف حدوداً. حذرها مايكل: «لا دموع اليوم، عزيزتي».

فتح ليون باب سيارته المستأجرة: «أقترح أن نذهب وإلا فأنا أرفض أن أتحمل النتائج، إذ لم يسبق لعمي أن أحب ويراودني شعور بأن حياتي ستكون مأساوية إذا تركناه متشوقاً أكثر».

لم تشأ الكس قضاء ثانية أخرى بعيداً عن ديمتريوس كذلك، فلقد تركها ساعتين مع ليون لإتمام التحضيرات وسمح لها بالاستعداد فبدا لها الوقت وكأنه ثلاث سنوات. ساعدها مايكل على الدخول إلى السيارة فيما اتجه ليون إلى الكنيسة التي لا تبعد عن الطريق إلا ميلاً واحداً. ساد جو أشبه بالحلم وبدا موقف السارات مهجوراً إلاّ من سيارتين. كانت الشمس الحارة ترسل أشعتها على رؤوسهم وتسللت أشعتها من خلال أشجار الصنوبر إلى واجهة الكنيسة البيضاء الساحرة فبدت مشعة.

رافقها مايكل إلى مدخل الكنيسة فيما كان ليون يلتقط صوراً وهو يعبر عن سروره لجلب آلة التصوير. همس مايكل: «أعتقد أنني لست بحاجة إلى سؤالك عما إذا كنت جاهزة للقيام بهذه الخطوة المصيرية».

أجابت بصوت رزين: «لا».

ـ عديني بمغادرة جبال الاولمب من وقت لآخر لكي تزوري هذا العبد المتواضع؟

وأشار إلى نفسه فصرخت بنعومة: «تعلم أنني سأفعل ذلك».

وافاهما ليون عند السلالم قائلاً: «هلاّ دخلنا لنجعل عمي رجلاً سعيداً؟».

***

في هذه الأثناء، كان ستافروس يهدىء ديمتريوس: «استرخ! سيصلون... استدر لترى ما أحضره لك ابن أخيك».

قفز قلبه واستدار على عقبيه في الوقت المناسب ليرى الكسندرا مسرعة في اتجاهه ومايكل يتأبط ذراعها فيما ليون يقودهما إلى الداخل.

قطع الكاهن حديثه مع زوجة ستافروس وآنانكي لإلقاء التحية على زوجة ديمتريوس المستقبلية.

بدت كالحلم في فستانها الأبيض والذهبي.

حاجته إليها كادت تخنقه، لكنه تمالك نفسه قليلاً فيما أشار إليها الكاهن بالتقدم ووضع يدها اليمنى فوق يد ديمتريوس اليسرى.

لمعت عيناها الخضراوان بنور جديد، وهمست مخطوفة الأنفاس وهي تعصر أصابعه: «عزيزي».

شعر بحبها كما لو أنه شخص حي أمامه فهمس: «لن تفهمي ما يقوله الكاهن، اعلمي فقط بأنه مع نهاية المراسم، ستكونين زوجتي».

- وأنت أيضاً زوجي. هذا كل ما أتمنّاه.

كان ديمتريوس يدرك مدى حب هذه المرأة له وكان سعيداً لأنه نال هذه الهبة وحافظ على وعده طوال تلك السنوات. إنها هديته لها... بعدما قبّل ظاهر يدها، أومأ إلى الكاهن ليباشر بالمراسم. جلست النساء إلى جوار الكسندرا فيما اتخذ ليون مكانه قرب ديمتريوس، يليه ستافروس ثم مايكل. ابتسم الكاهن لهما وبدأ المراسم التقليدية. لم يستطع ديمتريوس إلا أن يستعيد ذكرى زفاف أخيه الذي تم على يد كاهن في منتصف الليل ولم يشهد عليه سوى جدة أنانكي. كانت تجربة غير سعيدة لكنها من الماضي. عندما حان دوره ليدس خاتمه الذهبي في إصبع

الكسندرا، ابتسمت له وبان قلبها في عينيها. كان وجهها الجميل الذي رفعته نحوه يمثل حاضره ومستقبله ويجلب له سعادة لامتناهية.

اليوم ليس سوى البداية.

***